ليلة السقوط عن الحافة
محمد علي دبوس

بدايةً

غفرانك ربي اني كنت من الظالمين ولا ازال..

الاهداء

إلى امي تلك المقاتلة التي ابرزت سلاحاً فتاك لطالما جعلني عاجزٍ عن الوقوف بجبروتي امامها

تنويه

الليلة التي تقرر فيها قراءة هذه الرواية

ستكون ليلة سقوطك عن الحافة

فتوخى الحذر

فإن كنت تبحث عن حروفٍ سرمدية الخيال والمغامرات فطلبك ليس عندي عزيزي القارئ

سنكون هادئين منعزلين لا مغامراتٍ تنسينا هدفنا الاساسي ومحورنا الرئيسي

تنويه(2)

(كتاب الرب وحده لا ريب فيه)

فعذروني على بعض الاخطاء الغير ملحوظة

الكمال للخالق عز وجل

ويجدر تنويهكم ايضاً بأن الكاتب قد تلقى جرعةً كبيرة من خيبة الامل وكتبت حروفه هذه وهو تحت تأثير سكرة الحب القاتلة

فتوخوا الحذر

بسم الله الرحمن الرحيم

(قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون)

قد انعم الله علينا بنعمة العقل والوعي الفكري والتفكير المنطقي والسعي نحو الرمادية التي لا يغلب ابيضها الأسود ولا العكس لاتخاذ القرار..

قد عُرِفَ منذ الازل ان لأهل لعلم مرتبةً يحسدون عليها وان اهل الحكمة كانوا سبيل كل تائهٍ مشرداً

ونحن اليوم سنبدأ طريقنا من هذه الكلمات حتى نصل للمكان الذي اختاره الله لنا

مهمة الشخصيات في هذه الرواية هم عبارةً عن رسولٍ يحمل خرائط توصلنا للطرف الاخر من هذا الكتاب الذي امتلئ بطريقه بالكثير من الغذاء لعقولنا لجائعة والمياه لفكرنا المتعطش وكما قال شعراء القدم

(كالعيس في البيداء يقتلها الظمئ والماء فوق ظهورها محمول)

فهتم في المرسال ولا تفكر في الرسول

سنكون عائلة لا تعرف بعضها البعض ولن تلتقي حتماً لكن يربطها اشياءً قد تكون اشد ثبات من اللقاء ذاته ستجمعنا الكثير من القواعد واهمها

ان يؤمن الجميع باننا بشر وغير ذلك فهو ليس بالمهم

ان نكفر بما نقل عن اسلافنا من اقوالٍ وافعالٍ لا تتوافق مع الفكر البشري والمنطق

ان نؤمن بان الانحلال بعيدٌ كل البعد عن التحرر

ان نلجأ لخالقنا عند كل مأزق فالله يحب الاوابين

ان نبكي لأجلنا ونضحك لأجلنا فيد الله مع الجماعة

وان نتفق اجمعين انه وبقول المؤذن الله اكبر للصلاة اثناء حملك هذه الصحف ان تتركها وتلبي نداء الصلاة فأني اخاف علي وعليكم من حساب ربي

وغيرها الكثير ستأخذ على سبيل العادات مع مرور الوقت

كلنا نخطأ ولكن ليس منا الكثير من يستفيد من الخطأ فاطمئن في منزلنا هذا سندرس اخطائنا جميعاً فالخطأ لا يقل اهميةً عن الصواب

قال تعالى وهو اعز قائل

(ويضرب الله الامثال للناس والله بكل شيءٍ عليم)

سنضرب الامثال كثيراً من قصصٍ حدثت مع اسلافنا وقصصٍ كتبت

فالكل يعلم ان ضرب الامثال ينقل الافكار بصورٍ محسوسةٍ

لتقريب البعيد وكشف الغامض وهذا ما سيحدث

.....

الفصل الاول

اصبحنا نتذوق الجحيم

هل قامت الساعة بالفعل؟؟

ومشا الخوف بي...ومشيت به حافياً ناسياً ذكرياتي الصغيرةَ.. عمَّا اريد من الغد.. لا وقت للغد.. أمشي اهرول اركض اصعد انزل اصرخ انادي اولول أهذي اهلوس اسير.. اطير.. ارى لا ارى .. اتعثر.. اسقط ادمى ويغمى علي ...

كانت كلمات شاعر القضية محمود درويش مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بحال يعقوب ذاك الشاب ذو الثلاثين عاماً التي قضاها يتيم الام التي اختارت المكوث بمكانٍ اكثر طمأنينة من الارض عند ولادته وأبٌ تخلى عنه عندما اصبح ناضجاً فقد تزوج وارسله للإكمال دراسته خارج المدينة وعندما عاد وهو حاملٌ لشهادة الطب النفسي اخبره انه لا يمكنه الإقامة معه في المنزل واصبح تواصله مع والده شبه معدوم ولذلك يمكننا القول انه شخصٌ منقطعٌ بشكلٍ شبه التام عن العالم الخارجي يملك من الأصدقاء ثلاث ميّار.. شهاب. صفا لكلٍّ منهم قصةً جمعته مع يعقوب

قد اختارهم القدر ليكونوا اصدقاء لان كلَّ منهم يحمل بؤسً داخله يجعله فاقداً لإشارات التعجب عن الاحداث التي يمر بها كوكبنا ينتمون إلى الالم ذاته وتجمعهم ذات الهموم لكن كلاً منهم من منظوره يجتمعون إلى طاولةٍ لا خداع فيها طاولةٌ رمادية لا مكان للكذب فيها ولا للكره لا ترتدي الأقنعة الماكرة طاولةٌ لا حقد فيها ولا وقت لديهم للحقد فكلٌّ منهم قد حاصره صمته وابعده عن الواقع لينخرط في جوف همومه ليعيش الحقيقة ليبتعد عن تبرير مساوئ الحياة ليعيش حياةً لا نفاق فيها يتقرب من الله بصلاةٍ تريح قلبه وسجدةٍ يفرغ ما داخل صدره فيها

هم اشخاص يئسوا من البحث عن الحياة لكنهم مؤمنون ان الذي جمع يعقوب بيوسف و اغاث يونس في قاع البحار وانقذ موسى من طغيان فرعون واعان مريم العذراء في زكريا و افشل نوايا قريش التي ارادوا اذية الرسول الكريم محمد بها بعش حمام وخيط عنكبوت قد نجاه ربه هم واثقون ان الله سيكون معهم وهذا الشيء الوحيد الذي جعلهم يستمرون في حياتهم وبصمت

ينتمون لأولئك الذين لا تروقهم الموسيقى الصاخبة يستمتعون في سماع الموسيقى الكلاسيكية الهادئة لا هدف لديهم او ان صح الكلام اهدافهم كثيرة لكن ما من بيئةٍ لتحقيقها ، مؤمنون اشد الايمان انهم لم يخلقوا عن

عبث مدركون انهم خلقوا ليمضوا ويكتشفوا ويؤمنوا بخالق ما اكتشفوه خلقوا ليدركوا ان العلم قد قدسه الله بجلالته مدركون انهم خلقوا للبحث في الكثير من الامور الغامضة لخوض تجربة الصبر ورؤية كم الجمال الذي يحتويها بعد انتهاء المحن. لإظهار معجزات الرب الكونية التي نصها لنا في الكتب السماوية ...

هم على يقين انهم على هذه الارض لاستخدام تلك الكتلة التي يحتويها رأسهم موقنون انهم لم يخلقوا عبثاً لكنه ومع كامل الاسف مدركون ايضاً ان تفكيرهم نظرياتهم حقيقتهم كلها لا فائدة منها والكلام فيها عن عبث

لذلك احتفظوا بها لنفسهم فقط واختاروا العيش بصمتٍ حتى يشاء الله ما يشاء يستمتعون بانغام ام كلثوم في كل ليلة والعندليب لا ينقص عنها اهميةً واما عن صباح الطرب والموشحات فلسماعه نكهةً خاصة

لا يستمتع بمذاقها إلا من انتمى لتلك المدينة ... مدينة حلب

اشعل سيجارته لتتراقص دخانها مع كلمات الدرويش ليعيش حالةٍ مسائية مع نسمات هواء عروس المشرق الناعمة امسك هاتفه واتصل بصديقه شهاب

- كيف الحال

- بأفضل حال اخبرني هل انت جاهزٌ للانطلاق

-نعم قد انهيت الاوراق الروتينية وتبّقى لي ان اسافر لدمشق لانطلق من هنالك إلى القاهرة

- لا ادري ماذا سأقول لك أسمع يا يعقوب نحن نعيش ذات البؤس في هذه المدينة كلٌّ منا يرغب بتحقيق احلامه لكن انظر حولك قد انتمينا لمدينة لا تخلو من البؤس سكانها فلاسفة احزانهم هي فعلاً مدينة فلاسفة الارض هي فعلاً مدينة البؤساء الذين ينتشرون في ساحاتها بعد منتصف الليل لكنها مدينة الحب مدينة الثقافة وارض الفلسفة هذا ليس بخطابٍ وطني عزيزي لكن حتماً اختار المكوث هنا بعيداً عن نعيمٍ زائف خارجها وإن كان نعيما فلا يحق لنا التعدي على املاك الغير املاكٍ مزيفة من صنع ابنائها الذين ينظمون اجمل الحفلات نهاراً بأقنعةٍ اعتادوا على ارتدائها ليرموها ليلاً

ويتسابقوا نحو جرعات المخدر والمهدئات ليهربوا من واقعهم المختلف تماماً عما يظهرونه للغير لينتهي بهم المطاف بالانتحار او داخل المصحات النفسية

- تأكد انني وحلب تربطنا علاقةً ازلية يصعب شرحها بكلماتٍ تخرج من اللسان لكنني سئمت العيش على هذا الحال سئمت الانتظار سئمت الانتحار الفكري وانا وبجلوسي هنا مكتوف الايدي اقتل الكثير من لأحلام التي لطالما تمنيت تحقيقها فقد تذوقت علقم العيش وانت تعلم ذلك واريد تعويض نفسي عن ما خسرته في حياتي

انا لست ذاهباً لحضور السينما وخوض تجربة المهرجانات وانت تعلم انه لا يروقني مثل هذه الاجواء لكنني لن افرط بعرض العمل الذي قدم لي على طبقٍ من ذهب انا مسافرٌ للهروب

فقد خلقنا الله لنعيش حياةً افضل من هذه بكثير وليس من الفرائض السماوية ان اعيش واموت في المكان الذي ولدت فيه قد صبرنا كثيراً يا شهاب نحن لسنا سوا ضحايا حربٍ لا دين لها ولا شريعة انا ابن حلب وعودتي إليها لا محال لكنني متأكد ان خروجي منها في الوقت الحالي وعودتي في وقتٍ لاحق إن شاء لي الله بذلك سيكون لصالحها ، فانا لا استطيع العيش دون حلب وحزن حلب لذلك اخترت ان تكون وجهتي القاهرة لأنها لا تقل بذلك عن حلب

ساد الصمت قليلاً حتى نطق يعقوب

ـ تأكد يا شهاب انني واينما كنت سيكون سبيلي الوحيد هو حلب

-أخبرني إذا متى ستغادر المدينة إلى دمشق

كان يعقوب يريد الرحيل بهدوء لذلك ابتكر حديثاً جديداً بقوله

-أريد منك ان تكلم ميَّار بان جلستنا غداً ستكون في منزلي وستكون جلستنا الأخيرة

- لم تصب هذه المرة ياصديقي هذه الفتاة القوية ما من احدٍ يستطيع حديثها سواك

- حسناً سأكلمها لا تنسى القدوم غداً سأكون في انتظارك عند التاسعة مساءً

-حسناً يا يعقوب لن اتأخر عليك

شهاب فقد والديه وقد عانى كثيراً بعد وفاتهم فقد كانت خسارته لوالديه وأخوته فاجعةً كبيرة بالنسبة إليه فقد تحول من شخصٍ يعيش حياةٍ اجتماعية بأرفع مستويات الثقافة إلى شخصٍ يتيم الأخوة والوالدين اعتزل العالم بعد وفاتهم ودخل في حالةٍ نفسية وجمعه القدر مع ارذل الأيادي التي كانت ستودي بحياته إلى الجحيم الأبدي لكن وبفضل الله واغاثته قد عاد لدراسته ولحياته الطبيعية لكن ما من مصيبةٍ تمر على الانسان مرور الكرام دون ترك اثرٍ واضح اسفل عينيه ...

دائماً ما نحاول اخفاء اوجاعنا وهمومنا عن العالم الخارجي لكن دائماً هنالك اشياءٌ تخذلنا

لا نستطيع التحكم بها مهما حاولنا ان نخفي ما داخلنا تبادر هي بإظهار كم الخذلان الذي احتوته صدورنا

وبإرادة انسانٍ طموح استطاع هذا الشاب تجاوز الكثير

وتخرج من كلية الهندسة الكهربائية بدرجة ممتاز

وكانت الجامعة هي الصدفة التي جمعته بيعقوب

وهو الأن يعمل كاشير في أحدى مطاعم المدينة!....

كان يعلم يعقوب ان كلام شهاب لا يخلو من الصحة وكان يعلم ان الخروج من المدينة سيزيد من ضجيجه الداخلي وانه سيعاني ضعف المعاناة التي يعانيها في بلدته لكن ومن اجل تصحيح مساره ذو النهاية المظلمة اختار السفر ..

هو يعلم ان الأنسان دون وطنٍ لا قيمة له وان يعيش المرء دون وطن فهذا يعني انه سيعيش حياةً فارغة من كل شيء من الحب .. الانتماء.. فاقدٌ للذة الانتصار ... يفقد شغفه الذي أشتعل من نار الشوق لرؤية شمس الأمان قد اشرقت من جديد ومع علمه بكل شيء فقد كان مصرّاً على السفر نحو حياةٍ تنسيه ما ذائقه من الم

هو يحب حلب وينتمي لأرض الحضارات سوريا لكن من استطاع العيش دون أم دون حب سيستطيع العيش دون وطن الدين لله ولأرض للجميع ....

بعدما انهى يعقوب مكالمته مع شهاب اراد ان يتصل بميَّار ويدعوها للقدوم لمنزله

-كيف حالك يا ميَّار

-إن كنت تريد اجوبةً روتينية مملة فانا بأفضل حال وإن كنت تريد غير ذلك فهذا ليس من شأنك

وبلكنة طبيبٍ نفسي ممزوجة بالفكاهة قال

-أنا وبكل تأكيد اريد الإجابة الروتينية فانا لست بحاجةٍ لجرعة بؤس يا صديقتي كشخصٍ مثلي استطيع من اجابتك الروتينية هذه التي اعتدت عليها بكل اتصال ان احدد مزاجك وحالك فلست بحاجةٍ لإجابةٍ صادقة منك انت تكلمي فقط وتركي ما تبقى لي من تحديد احوالك

-حسناً كفاك ثرثرة عزيزي دائماً ما تظهر نفسك على حق أخبرني إذاً

ما وراء اتصالك هذا

-أريد ان اخبرك بأن غداً سيقام في منزلي جلسةً اخيرة ستدور بيننا على شرف هجرتي من البلد

- ماذا تقصد احقاً كان كلامك جديّا عند اخر لقاء

-وكل الجد يا ميَّار

سيطر الصمت على حديثهم لبضع ثواني حتى قالت له

-لماذا يا يعقوب

-انت لا تحتاجين للتبرير عن اسباب سفري اليس كذلك

- سأختصر عليك الكثير من التفكير بتبريرٍ لهذا لكن اسمعني جيداً

انت تعلم جيداً أنني رافضةٌ بشكلٍ قطعي للتواصل عبر الأنترنت لأنه وببساطة اريد الحفاظ على ايامنا الجميلة اريد الحفاظ على شيءٍ قد لامس

قلبي واعطاه الاطمئنان انت تعلم ان التواصل عبر الانترنت يفقد لذة الحديث مهما كان مهماً يفقد لذة الشوق التي بقلوبنا ومهما حاولت توصيل كلامك المقصود للطرف لأخر لن تستطيع نقله بذات الحالة النفسية التي تعيشها ..

حروف الشاشة الزجاجية ياصديقي لا تخلوا من الكذب مطلقاً مهما كانت صادقة سيبقى هنالك شيء مفقود يا عزيزي وتأكد إن استطعت ايصال حروفك بلكنتك ذاتها وبنبرة صوتك فلن يستطيع الطرف الاخر استقبالها إلا على الوتر الذي يعيشه هو ان يترجمها

فإن كان سعيداً سيتلقاها بصدرٍ مفتوح وإن كان عكس ذلك فلا تنتظر منه الرد ابداً ..

لغة العيون تغنينا عن كل شيء يا صديقي أليس كذلك...

-بكل تأكيد

- اظنه تبريراً كافياً لانقطاع اتصالنا حين سفرك

- غريبة انت يا ميَّار

-إن كنت كذلك فهذا بسبب صداقتي بشخصٍ فلسفيٌ مثلك

اخبرني من اين لنا بشخصٍ فلسفياً مثلك

- لا تتأخري غداً ولا تنسي ان تخبري صفا بالقدوم معك

-اللعنة على بخل الرجال لن تخسر الكثير إن أخبرتها بنفسك صديقي

- قد سكنتم ذات المنزل فلماذا هذه الرسميات المملة

- معك حق سأخبرها الأن

-حسناً انا بانتظاركم عند التاسعة مساءً

-إلى اللقاء

انهى مكالمته مع ميَّار وهو يبتسم لطرافتها وقال

-أدعوا الله ان يكون في عون صفا على ما ابتلت به

ميّار ...العود الفرنسي.. القوام الاندلسي ..حدائق بابل المعلقة .. شواطئ المالديف .. العيون ذات سواد حور العين ...ووجنتين على ابوابهما قد رمي الف قتيل ...فمٌ ذو اصولٍ عربية ..وشعرٌ لا يخلو من السرمدية ..لا بيضاءٌ هي ولا سمراء بل هي ملكةٌ على عرش البشرة الحنطية

فتاةٌ تملك حنكةً قوية لا تقل انطوائيةً عن يعقوب .. جريئةٌ لحدٍ بعيد.. مزاجيةٌ لدرجةٍ يصعب وصفها .. فتاةٌ تشعرك انك كل اهتمامها وتارةً تشعرك بأنك خارج قاموس حياتها مطلقاً .. يعجز اي مخلوقٍ عن فهمها قد ارتدت هذا القناع بعد تعرضها للكثير من المواقف واهمها الاجتماعية

وكلنا يعلم ما هي نتيجة تعرض فتاة للهزيمة .. لـ الخذلان .. للكسر

فما بالك ميّار...

قد خلق الله الفتيات بقلبٍ لا يقوى لخيبات الامل قلبٍ ضعيف يحاول إظهار عكس ذلك دائماً لكنه يفشل لذلك قال بهم الرسول الكريم (اوصيكم بالنساء خيراً)

لان النساء دائماً بحاجةٍ لمن يطبطب على ألمهم ويشعرهم بالأمان وكذلك ميّار

هي دائماً ما تبحث عن أحدٍ يفهمها لكنها دوماً ما تظهر انها ليس بحاجةٍ لأحد وأنها فتاةٌ لا تبالي لأحد وانها تعيش حياةً جميلة لكنها على عكس ذلك مطلقاً ومع ذلك تحافظ على قوامها وكأنها لا تبالي لشيء

كبريائها يجعلها تسيطر على كل ما تريد وقوتها مفروضةٌ على الجميع تربطها علاقةٌ وطيدة بيعقوب بسبب اهمية اللقاء الأول بينهم ...

أما عن صفا فتاةٌ سمراء البشرة لا طويلةٌ هي ولا قصيرة تملك عيوناً عسليةً وشامةً تزين سماء وجهها وصوتٌ يجعلك تعشق الشتاء لأجله هي على عكس ميّار تماماً فناةٌ لم تنه عقدها الثالث من العمر تحمل من البراءة والعطف ما لم يحمله بشري فتاةٌ هادئة دائمة الصمت اغلب اجاباتها عبارةً عن ابتسامة واماءة في الرأس

الجميل انها تحمل شحنةً إيجابية في الحياة بقدر تعرضها للهزائم التي لربما كادت ان توصلها إلى جحيم الأرض

كان يعقوب يرى في صفا امه التي فقدها منذ صغره

طبيبةٌ نسائية (سابقة) لسببٍ ما

علاقتها كانت مع يعقوب عن طريق ميَّار كما ان ايضاً علاقة ميَّار مع شهاب عن طريق يعقوب ...

والأن نستطيع القول اننا اصبحنا نملك ما يكفي من التفاصيل عن الأصدقاء الأربعة...

في منزل يعقوب

انقطع التيار الكهربائي نتيجة مرور شاحنةٍ كبيرة ادت إلى قطع الشريط المغذي القادم من المولد الكهربائي الكبير

شريط (الأمبير) كما يدعونه أهل المدينة كافة

فما كان منه إلا النزول لإصلاحه بنفسه لأن وضعه الاقتصادي لا يسمح له بجلب فني كهربائي لإصلاحه

الجميل في حياتنا ان الحاجة في بعض الاحيان تجعلك شخصاً كامل الإمكانات تجعلك تؤمن بـان ألا كتفاء الذاتي موجودٌ في حياتنا لكن على عكس ما يشاع لأن هذا الا كتفاء يأتي نتيجة نقصٍ لكل شيء وليس بسبب توفر كل شيء

هذه مشكلتنا نحن البشر لا نشعر بقيمة الشيء إلا عند الحاجة إليه.

..

ميَّار: اتصل بي يعقوب ويريد ان نحضر منزله غداً عند التاسعة مساءً

صفا: الم يخبرك لماذا؟

-يقول انها ستكون جلسة وداعٍ على شرف سفره إلى القاهرة

-سيسافر!.. لماذا؟

-لأنه وكما قال محمود درويش يحب الحياة إذا ما استطاع إليها سبيلاً

-ونحن ايضاً نحب الحياة لكننا لم نسافر

-لو أتيحت لنا الفرصة لفعلناها عزيزتي

- هل قلتي ان وجهته ستكون القاهرة

-نعم

سكتت صفا وكأنها تسترجع الكثير من الذكريات وقالت

-جميلةٌ هي القاهرة يا ميَّار قد عشت فيها اصدق ايام حياتي درست فيها وتخرجت من جامعتها .. جمالها يكمن بذروة الليل بين نسمات الهواء التي تحمل معها هموم العاشقين المتلهفين الطائرة مع دخان سجائرهم .. جغرافياً انا لم تتاح لي الفرصة لاكتشافها اما نفسياً فقد تعمقت بها لأبعد الحدود

فالمشي ليلاً وحده كافياً لجعلك تعشقينها ..تمشين بين الف نسخةٍ منك النظر بعيونهم كافياً لرؤية مدى الحزن الذي سكنها هي أم كلثوم وعبد الحليم حافظ هي الاهرامات والنيل العظيم هي ارض الحكماء

شعورٌ بغاية الجمال ان تشاركي حزنك مع الأخرين بدون طلبٍ منك .. ان تكتشفي اهتمامهم اللا ارادي فقط لانهم عاشوا المأساة ذاتها هم مثلنا تماماً فاقدون الامل بكل شيء لكن دائماً ما يكون فاقد الشيء معطيه

- هذا يعني ان يعقوب قد اختار الوجهة الصحيحة

- بدون شك فهو لا يقل عنهم وعياً وفكراً ولكن من اين لنا بيعقوبٍ مثله نحن لربما دائماً ما نسخر من فلسفته لكن هل تتخيلي ان نعيش دونها؟

وقفت ميَّار ووجدت سبيلاً للهروب من سؤال صفا لان إجابتها الظاهرية لا محال ستكون قاسية

اعطت لنفسها وضعيةً استراتيجية وقالت

هذا يعني انه صدق من وقف وصرخ بصوتٍ شامخ

من دمشق ... هنا القاهرة

-صدق بقوله لأن بؤس دمشق قد عاش في القاهرة

ذهبت ميَّار نحو الراديو واشعلت شريطاً لأم كلثوم...

كنت بشتقلك وانا وانت هنا

بيني وبيتنك خطوتين .. خطوتين

شوف بقينا ازاي انا فين

يا حبيبي وانت فين .. وانت فين

- منذ متى تعرفين يعقوب وكيف كان لقائكما الاول فكل ما أعرفه هو أنكم اصدقاء مقربين ولا شيء أكثر

-وهل هذا مهمٌ بالنسبة لك

-لا مجرد فضولٍ لا أكثر

وقفت ميَّار وبدأت بدندنة موسيقا ام كلثوم العظيمة وقالت ...

-كانت دراسة يعقوب في المدينة ذاتها التي ولدت فيها وكنا ننتمي لذات الجامعة لكن لم يجمعنا اي حديث..

ليومٍ من الأيام كنت جالسةً انتظر بدء المحاضرة ليأتي احد زملائنا في كليةً الهندسة التي انتسبت إليها وطردت منها لأسبابٍ ولا اتمنى ان تسالي لماذا

ذهبت لاحتساء القهوة وكان قد دعا يعقوب أيضاً

أجرى زميلنا طقوس التعارف بيني وبين يعقوب وجلسنا ودارة الأحاديث بيننا

-أخبرني إذاً يا يعقوب لماذا اخترت مجال الطب النفسي وهنالك الكثير من فروع الطب

-كوني على ثقة يا ميّار ان الم النفس يستحوذ على جميع الام الجسد وان المرض النفسي علاجه اصعب من علاج الامراض المزمنة التي تصيب الجسد

- لكن القليل من يقصد طبيباً نفسياً

- نعم وبالمقابل هنالك الكثير من يموت لأسبابٍ مجهولة ..

هنالك الكثير من يرغب بالتحدث من يريد حلولاً لعثرات حياته لكن هنالك شيءٌ ما يوقفه دوماً عن استشارة طبيبٍ نفسي مما يؤدي لتطور حالته حتى الموت

ويكون قد مات نتيجة تخلفٍ عقلي ورثه عن اجداده ....

تطورت علاقتي بعض الشيء مع يعقوب وكان صديقاً جيداً ومستشار حكيم في بعض الامور .. تخرج يعقوب وعاد إلى حلب وكان تواصلنا حينها قليلٌ جداً لأنني وبطبعي كما تعلمين اكره التواصل البعيد عن العيون والقلب

وعندما نبذتني عائلتي أو اعلنت قصاصي إن صح الكلام لم أجد نفسي إلا وانا هنا بحلب لماذا وكيف لا ادري

اخبرته حينها بقصتي وكان إلى جانبي دوماً وساعدني بالعثور على هذا المنزل وفي مدة البحث عن المنزل كنت اقيم في منزله وهو ينام في الجامع وبعدها عثرت على عملٍ واستقرت حياتي نوعاً ما واستمرت علاقتنا إلى يومنا هذا

-وشهاب

-شهاب قد جمعني معه يعقوب هنا بحلب ولم اكن ادري انه ينتمي لجامعتنا

-وما حال أهلك الأن ؟؟؟

-اخر شيءٍ قد عرفته انهم اعلنوا مكافئة لذوينا لمن يأتي لهم برأسي وهي الزواج من أختي الأصغر

-الا زلتي مصرةً ان لا تخبريني لماذا كل هذا

-الا زلتي مصرةً لسماع جوابي المعتاد وانا اقول لك هذا ليس من شأنك

ساد الصمت بينهم وضعت صفا سماعة الأذن وامسكت كتاباً

لـ باولو كويلو وابتعدت عن الواقع

وميَّار ايضاً غادرت واقعها منتقلةً إلى كابوسها الازلي

- ارجوك يا ابي انا ابنتك وانت تعلم انني لست كذلك فأنا ابنة تربيتك الصالحة وحاشا الله ان اجلب لكم ولنفسي بمثل هذه الفاحشة .. امي اخبري ابي انني لست كذلك

-اصمتِ ايتها العاهرة ..وماذا عن شهود ذلك الطبيب اللعين وعن الكاميرا التي اورثتنا فضيحةً لأخر عمرنا بعد انتشار ذلك الفيديو الذي التقط لك

-ابي ارجوك قد اخبرتك انه هنالك مدرس في جامعتنا يتحرش بي من اجل ترفعي وعندما ابيت عن فعل تلك الفاحشة اكاد لي بهذا

انظر للتسجيل الذي انتشر سترى مقاومتي له ولقذارته

-كلامك الفارغ هذا لن ينجيك من فعلتك ايتها لكاذبة

-ابي اقسم لك ان هذا ما حدث وانا لم ارتكب الخطيئة

- وحتى إن كنت كذلك فكيف لي ان اظهر وجهي امام عشائرنا قبل قتلك

موتك حتميٌّ يا ميَّار موتك حتمي ...

أخرجها من شرودها صوت صفا

-ألست جائعة

-لا .. انا ذاهبة للنوم تصبحين على خير

انسحبت من المجلس متجهة لغرفتها لترتمي على فراشها وتخلع ذاك القناع اللعين وتقوم بتحرير دموعها لحين غفلتها ونومها

بعدما انتهى يعقوب من اصلاح الكهرباء صعد للمنزل واخذ حمام ومن ثم اعد لنفسه كوباً من القهوة واشعل انغام صباح فخري لاستدراج افكاره وجلس خلف مكتبه اشعل سيجارته وباشر بالكتابة...

السلام لنفسي بدايةً ومن ثم لكم فأنا احتاج الكثير من السلام على ارض هذا الكوكب الذي غير مساره مؤخراً نحو الجحيم

ستكون مُعلقة اليوم غير معتادة ...

ستكون رسالةً من مريضٍ في احدى المصحات النفسية تركها وهو يحتضر..

(من قال اننا نفضل العزلة

من قال ان فكرة الجلوس بمفردنا طيلة الوقت تروقنا

من قال ان الانطواء من سلوكنا البدائي

من قال ان الصمت الذي التزمناه كان من خيارنا

نحن وببساطة نتيجة اسبابٍ سرمدية الحروف

نحن رد فعلٍ لصدمات متتالية وخيباتٍ لا تنتهي

نحن لم نولد على هذه الشاكلة ولم نحب فكرة ما نحن عليه اليوم

ما من بشري كان يحب الجلوس بالظلام في طفولته

تروقنا فكرة ان نكون اجتماعيين ومنخرطين في الواقع لأبعد الحدود ولكن..

حتى الان لم نحظى بأحدٍ يمد لنا يد السلام

حتى الان نحن اشد قسوة

او اشد قسوة .....)

وضع القلم من يده متجهاً لفراشه هارباً بنومه من نفسه واي نومٍ سيراوده ويفصله ايامٍ عن مغادرة معشوقته لكنه فضل ان ينام لأنه لديه الكثير من العمل والمشقة صباحاً ...

النوم دائماً ما يكون الحليف الذي لا يخون من اتخذه سبيلا
هو دائماً المهرب من كل شيء إلى اللا شيء هو فرصةٌ لعقولنا لأخذ قسطٍ من الراحة

في النوم.. لا ذكرى ..لا حقيقة .. لا صراع مع ضجيج المجتمع

صدقاً عزيزي الابتعاد عن الواقع هو النعيم ذاته

الاستقلالية الفكرية والعزلة هم الخلاص الوحيد ..

فسلامٌ على من اتخذ النوم سبيلاً للهروب

أولئك الذين لا تروقهم الحفلات الصاخبة.. القريبون من الله مبتعدين عن الجهل والتخلف الرجعي

للذين التزموا صمتهم حداداً على افكارهم المتلاشية بين مكتوبٍ غير مسموع ومنظورٍ لا ناظر له

يملكون كمً كبير من الوعي يجعلهم بعيدين عن الأجواء العائلية والطقوس التي تكون بالنسبة لغيرهم شيءً مقدس

هم يحاولون الاقتراب اكثر لكن هنالك شيءٌ ما يوقفهم

لا يحبون الدراما فهي مخدرٌ للعقول

لا ينتمون لأحد ولا يملكون الكثير من الأصدقاء

عقولهم قد الحدت الافكار والانطباعات التي توارثوها منذ القدم....

على الذين اعتادوا تنفيذ اوامر ربهم والالتزام بالحدود التي رسمت لنا نحن معشر البشر .. يعملون بوصايا الرسول الكريم وغير ذلك فلا استمرارية فيه...

للذين يستيقظون شوقاً لمجيء الليل مرةً اخرة والعودة للنوم

تعجبهم الحدائق الهادئة والمكوث فيها راحةً لقلوبهم ..

يروقهم المشي تحت امطار اذار .. القراءة ..سماع الموسيقى الكلاسيكية ...

للذين يحاولون اخفاء ذاك السواد الذي احتل ما اسفل عيونهم ودائماً ما يحاولون اظهار انفسهم بأفضل حال وبكامل اناقتهم على الدوام لعلهم يخفون الدمار الذي احتل قلوبهم وسيطر على عقولهم وشتت حياتهم كلياً يخفون حزنهم ببسمةٍ دائمة سلامٌ لأولئك العظماء في كل بقاع الأرض .....

في صباح اليوم التالي استيقظ يعقوب ليبدأ العد التنازلي وتبدأ ساعات الرحيل تقترب منه اكثر فأكثر والعزلة قد راودته عن نفسه وكان لها من المطيعين ...

اتجه يعقوب نحو الشرفة للاستمتاع بساعات الصباح تلك التي حتماً سيفتقدها اكثر من كل شيء وبينما هو جالس رن هاتفه

- كيف حالك

-اهلاً ابي بأفضل حال اخبرني عنك عن زوجتك كيف تقضون ايامكم في ظل هذه الأزمة النفسية والاجتماعية

-انا وزوجة ابيك بـأفضل حال ونريد منك خدمةً صغيرة

-تفضل يا ابي انا تحت امرك

-اريد منك القدوم لمنزلنا والمكوث فيه

لبرهةٍ تخلى يعقوب عن كل مخططاته واحلامه لكن هنالك شيء ما اوقفه واعاده لطبيعته

-وكيف حدث ذلك وقبلت ان اسكن معك يا ابي

- قد اسأت فهمي يا بني .. انا وزوجة ابيك سنغادر خارج القطر ولا نريد ترك المنزل فارغ هل يمكنك المكوث فيه لحين قدومنا

لم يكن من يعقوب سوا ان يغلق الهاتف بوجه ابيه وكأن شيء لم يكن

-أستغفرك ربي على ما فعلت

جلس يفكر بمدى خبث النساء إن ارادوا التفريق بين الظفر ولحمه

وكيف استطاعت زوجة ابيه فعل ما فعلته

لكن وإن صح الكلام لم يكن ابيه الرجل المثالي كان اشد منها حقداً

ولولا ذلك لما ترك ابنه وهو بأمس الحاجة لوجوده

طُرِقَ باب المنزل فكان صاحب الشقة التي يقيم فيها يعقوب

-مرحباً يا بني كيف حالك

-اهلاً يا عم الحمد لله بأفضل حال

- ادعوك لاحتساء القهوة في منزلي ما رأيك

- اوليس هذا منزلك ايضاً يا عم تفضل لنحتسيها هنا

-لا يا بني هذا منزلك وانت الان مدعو لمنزلي هل سترفض دعوتي

-بدون شك لا.. سألحق بك على الفور

كانت فرصةً ليكلم يعقوب فيها العجوز عن سفره وتسليمه المنزل

ابو خالد.. ذاك العجوز الذي رد لأرذل العمر لم يتزوج واختار ان يعيش حياته بعيداً عن الاجواء العائلية رجلٌ في العقد السادس من عمره ملتزمٌ بفرائض الرب بشكلٍ كبير شخصٌ اجتماعي لدرجةٍ لا توصف دائماً صدره مفتوحٌ لهموم اي بشري ولسانه على اتم الاستعداد لإعطاء اي نصيحة....

- تفضل يا بني تفضل انت تعلم ان لا زوجةً لي ولا ولد

-انا اعلم هذا يا عم لكنني لا اعلم لماذا

- اسمع يا بني كل شخصٍ على وجه هذا الكوكب يتمنى ان يكون لديه اطفال وزوجة وبالرغم انني كنت افضل هذا ايضاً لكنني اخترت البقاء هكذا لعدة اسباب

-وهل يسمح لي معرفة بعضها

-كطبيبٍ ام كصديق

- كولدٍ يا عم ابو خالد

- الاسباب كثيرة لكن اهمها انني كنت وبطفولتي مسؤول عن امي واخواتي ولم تتاح لي الفرصة للنظر خارج السور الذي عشت داخله كانت كل مطالبي ان اؤمن حياة كريمة لعائلتي ولا شيء اخر

-الم تعجب بفتاةً واحدة على الاقل طوال عمرك

-بلى قد اعجبت واحببت وتيمت ايضاً لكن الله عز وجل لم يقسم لنا ان نعيش معاً وانا دائم الخضوع لأمر ربي

-لا اعتراض على حكمة الخالق لكن لماذا ؟

- اسمعني جيداً يا يعقوب نحن وبطبعنا ابناء هذا الكوكب دائماً ما نعشق نشوة الحب الأولى دائماً ما نبحث عنها بين الطرقات وعلى جانب الرصيف في كانون الأول تحت امطاره الطاهرة

نبحث عنها في سطور روايةٍ لربما او في اقتباسٍ عابر في عقولنا لكننا وللأسف إن وجدناه يصبح الأمر عكسياً تماماً يصبح حوار عقولنا الأساسي هو التخلص منها والابتعاد عنها باي طريقةٍ كان لأننا وببساطة يا بني نعشق التملك يروقنا استكشاف الغامض والبحث فيه واظهاره وعندما يظهر كل شيء يموت شغفنا للوصول إليه ويصبح شيء لا اهمية له فإذا نجحنا في الابتعاد بعد الوصول نصبح محبطين نادمين عالقين بدائرة الخوف من نشوةٍ اخرى مثقلين ضعفاء لا نريد المواجهة نتمنى حينها ان نصبح مكفوفين المشاعر لا قلب ينبض في اجسادنا

أما إذا فشلنا في الابتعاد نصبح مكتهلين في حياتنا التي ولا بد ان تصبح ضمن الطابع الروتيني يراودنا شعور السجن ونحن المقيدين داخله إلى الابد ...

نرسم حينها امانينا على جدران عقولنا ونحن نعلم انها لن تتحقق غرباء الطبع نحن البشر يا بني لا شيء يرضينا في هذه الدنيا وليس علينا حقٌ في هذا فقد ولدنا ولم يفجعنا اهالينا بأن البؤس رفيق دربنا مدى الحياة وصدقني لو كنت مكانهم لفعلت ذات الشيء

-وهل راودتك هذه النشوة مرةً واحدة

- بعد النشوة الأولى استطعت اجتياز كل المواقف التي من الممكن ان تضعني بورطةٍ ثانية

انهى العجوز ذاك لحديث بقوله

- ما رأيك بالمزيد من القهوة

- اشكرك جزيلاً يا عم لكنني اريد ان اخبرك بشيء

انا وبتيسير من الله سأسافر بعد غد عند الرابعة فجراً متجهاً إلى دمشق ومن دمشق ستكون وجهتي القاهرة

انتفض العجوز من مكانه وقال

-لمن تتركون هذا البلد وما هو الشيء العظيم الذي يجبركم على السفر

-اخبرني انت يا عم ما هو الشيء الذي يجعلنا اكثر تمسكاً بالبقاء

-الايمان ب لله وحب الوطن والصمود وتحمل المعاناة لأجله ماذا حلَّ بكم؟

الم تدركون بعد انها حربٌ هجينةٌ وستنتهي الم تدركون ان الاوطان بشعوبها ولا وطن دون شعب لن اكثر كلامي يا يعقوب لكن تذكر انك ستكون سبباً بزيادة العجز واضعاف عجلة التقدم نحو الحياة

- وبالمقابل إذ بقيت سأكون ايضاً سبباً لدفن نفسي وانا على قيد الحياة وانا لم ولن اتخلى عن موطني

-لا ادري ماذا سأقول لك

وطنٌ لم يتخلى عنك كان كفيلاً على مراحل تعليمك منذ نعومة اظافرك حتى انتهاء مسيرتك التعليمية ولا اظن ان رد الجميل بان يحصد غيره ثمار ما زرع ..

على اي حال ادعوا الله ان يوفقك ويسدد خطاك ويكون لجانبك دوماً يا بني...

كان يعلم يعقوب ان كلام العجوز ايضاً مطابقٌ لكلام شهاب صائباً

- اريد ان اخبرك بشيء يا عم

-قل لي يا يعقوب هل ينقصك شيء قبل السفر

-لا لكن اليوم ستقام في منزلي جلسة وداعٍ بيني وبين اصدقائي إن لم تمانع

- الفتاتان والشاب حسناً يا بني سأكون في هذه لجلسة ايضاً إن لم تمانع فكلكم اولادٌ لي واخاف من وسوسة اللعين بينكم وانتم شباب والنفس تأمر بالسوء وكما قال تعالى (ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه) صدق الله العظيم

-صدق الله العظيم على العكس تماماً يا ابو خالد على الرحب والسعة سنكون مسرورين بوجودك معنا

-متى ستبدأ جلستكم هذه

- عند التاسعة مساء

- حسناً

سأكون اول الحاضرين بأذن الله

غادر يعقوب لمنزله وارتدى الزي الاسلامي متجهاً نحو احد مساجد بلدته كانت تقام هناك حلقة ذكرٍ للرسول وتجليل لله تعالى ذهب ليعيش حالة اطمئنانٍ لا توصف بين صيحات العاكفين في المسجد وخشوعهم واستقامة السنتهم بصوتٍ جماعي يقدسون الخالق لتتنزل على قلوبهم السكينة وتختلط دموعهم مع الانارة الخضراء الخافتة

مقدسٌ وجميلٌ ذاك المكان ..

وصل يعقوب وكان شهاب في الصفوف الاولى جلس واقام الطقوس الدينية على اكمل وجه

- تأخرت اليوم وليس من عاداتك الوصول متأخراً

- كنت جالساً مع مالك المنزل المقيم فيه وكنت احدثه انني مسافر في الايام المقبلة

- وماذا قال لك

- لا يختلف كثيراً عن الكلام الذي تقولونه لي

-وبالطبع كانت الاجابة كذلك

- تستطيع القول نعم.. هل تستطيع الذهاب معي الان

- نعم فقد اخذت اجازة

- ما حال عملك يا صديقي

- هو بالطبع ليس العمل الذي يليق بمهندس نرجسي مثلي لكنني مدرك انني لست الوحيد الذي اتذوق تلك المشقة للحصول على قوت طعامنا ومستلزماتنا ولا شيء اكثر من ذلك

- يعجبني صبرك هذا واصرارك على الحياة

- احمد الله على ذلك لكنني فعلياً مجبورٌ على ذلك فليس باليد حيلة سوا الخضوع للواقع فما من مهندس كهرباء يرغب في العمل خلف حاسوب دفع النقود لكنني لا زلت انتظر

- انت لست مجبور انت مخيرٌ في امرك يا شهاب ولست مسير

- اعلم ذلك لكنني احب الانتظار جدا

-احقاً هنالك من يحب الانتظار

- نعم يا يعقوب اجمل ما في حياتنا هو الانتظار

انتظار الفرج .. انتظار الصيف في لحظات البرد القاسية وحده يجعلك تشعر بالدفيء .. انتظار الام لابنها الشهيد خيرٌ من زيارة قبره ... انتظار الحب خيرٌ من العيش فيه ..ومن جهةٍ اخرى انتظار المحبوبة لتشعر بحبك امرٌ بغاية الجمال.. انا انتظر الشيء لأعيشه في اعماقي خيرً من فقدانه حقيقةً وخيالاً

وها انا الان اجلس خلف ذلك الحاسوب طوال اليوم لانتظر ذاك الحلم الجميل ليتحقق

كن واثقاً يا انه لا اصرار دون كوارثٍ سبقته

وانت تعلم جيدا ان الله على كل شيء قدير يهدي من يشاء ويضل من يشاء ويغفر ايضا لمن يشاء انه الغفور الرحيم نحن الضعفاء في كل مكان اقوياء بجانب الله

- ونعم ب لله عز وجل

هيا لنسرع بالوصول للمنزل فلم يتبقى سوى القليل من الوقت

وصلا للمنزل وباشرا بالتجهيز للعشاء الاخير والترتيب على اكمل وجه...

وفي مكانٍ اخر كان الجو مختلفاً تماماً بالنسبة لميّار كانت الفوضى التي احتلت حياتها لم تكتفي حتى وصلت لعقلها وكيانها

لطالما كانت الفوضى شيء مزعج بالنسبة لنا

نصاب بالاضطراب عندما نجد انفسنا بين ركامٍ في غرفنا ونجاهد في سبيل اعادة الحياة لهذا المكان

فما بالك والفوضى النفسية الفوضى التي تضرب القلب وإذا ضربت استوطنت وإذا استوطنت قتلت

وشتان بين فوضى الملابس وفوضى القلب

ففي الثانية نجد انفسنا عاجزون لا قوة لنا لردع اي مطبٍ نواجهه

هادئون وبحجم هذا الهدوء تشتعل حربٌ لا سلطان لها داخلنا

جلدٌ وكرٌ وفر وسيوفٌ اضاعت غمدها فقررت صنع من اجسادنا غمداً.. نجد انفسنا تائهون في اعماقنا ولا سبيل للهروب

فينا الكثير من الكلام والكثير من العقد التي عجزنا عن حلها

نكون خائفين من طلب العون لكي لا نضيف لحوزتنا المزيد من العقد

وفي الوقت ذاته نبحث عن خيالٍ كان او وهمٍ ليرافقنا خطواتنا التي لم نعد قادرين على خطوها

كانت ميّار المثال الاقرب لمثل هذه الحالة

الفتاة التي تعرضت للخيانة من امها وابيها وعائلتها التي ربتها هم خانوها عندما خانوا انفسهم واصبحوا في شكٍ من ما زرعوا في اخلاقٍ حميدة في تلك الفتاة التي ضاهت القمر حسناً وجمالاً

وفي شرود ميّار كان هنالك قصةٌ تأبى الخروج منها

وكان صوت صفا سبباً لانقطاع ذلك الكابوس الذي عاش فيها

-قرأت الكثير والكثير عن الخيانة فما قولك بها ؟

- الخيانة هي حدثٌ يصيب المرء و يجعله عاجزاً عن رد الهزيمة التي اصابت قلبه

- وهل تقتصر الخيانة على الحالة الاجتماعية

- على العكس تماماً يا صفا فإن اضعف انماط الخيانة هو النمط الاجتماعي لمجرد اكتشافك لخيانة حبيبك لك مع فتاةٍ اخرى ستتألمين كثيراً لكن هذا الالم سريع الزوال ستصبحين اقوى لمجرد ادراكك انك اكثر طهارةً منه

- حسناً ومن تكون الاصعب

- لنخرج الان من المنزل وسأحدثك عن كل ما تريدين معرفته

وبعد خروجهم من المنزل كررت صفا سؤالها

- الخيانة تعددت انواعها فمنها خيانة الروح والمشاعر وبرأي هذه الرتبة الامثل من الخيانة

صمت صفا كان كفيلاً لجعل ميّار تكمل

- اما عن هذا النمط فهو سبيل كل شخصٍ تعمق لدرجةٍ زادت عن الوصف في محبوبه تنتج عن الوصول لأقصى مراحل العشق ولا تظهر فجأةً في حياة المرء كباقي الخيانات على العكس تماماً تظهر على مراحل متعددة تبدأ بقلة الكلام واتباع الاسلوب الروتيني واكتشاف العاشقين الصفات السيئة لبعضهم البعض ويوجه كل منهم سبابة الاتهام على الاخر بانه هو الذي خلق محور التغيرات هذا.. هو من تغير هو من بدأ بإهمال الحب الذي بينهم هو الذي لم يعد يتحمل كلام الاخر وهو الذي تخلى عنه

في اشد المراحل التي كان من المفروض ان يكون بجانبه وتأكدي عند الوصول لهذه المرحلة لا تستطيعين اطلاق الحكم بينهم ولا تستطيعين لوم اي احدٍ منهم فعلياً هم ذاتهم تارةً يرمون اللوم على انفسهم وتارةً يكونوا ضحية انفسهم يتمنون الخلاص من هذه الحرب بأقل الخسائر لكنها لم ولن تنتهي إلا بابتعاد احدهم عن الاخر ليصبح هو الملام الوحيد والطرف الاخر الضحية وتأكدي ان من ينسحب منهم هو اشد حباً للأخر لأنه وببساطة يعيش مع شخصٍ يختلف تماماً عن من احبه ...

- وهل هنالك طريقةً للتخلص من هذا العراك دون خسارة احدهم للأخر

-نعم ان تكوني الضحية وتعيشي على امل عودة الامور لمجراها وان تستمر حياتكم الروتينية بعيداً عن شغف الحب اللا نهائي

- وبهذه الحالة يكون انتهى الحب واصبحت العلاقة عبارة عن سجينٍ اعتاد على السجان ولا يريد الخروج من زنزانته

-اصبت في التشبيه يا صفا

وصلا لمنزل يعقوب وقبل قرعهم للجرس صادفهم العجوز مالك المنزل

- سمعت من يعقوب انكم ستكونان في ضيافتنا اليوم

- نعم ولكن من تكون يا عم

- انا جار يعقوب وانا مدعو ايضا لقضاء هذه الساعات

- على الرحب والسعة يا عم

كانت تكلمه صفا وقد امتلأت عيونها في الدموع فقد رات ملامح وجه ابيها ببسمة العجوز

فتح يعقوب الباب واستقبل ضيوفه الثلاث بابتسامةٍ تعبر عن مدى سروره لقدومهم وذهب بهم الى غرفة الاستقبال التي اعدها لزيارتهم بينما كان شهاب منشغلاً بوضع اللمسات الاخير للعشاء الذي اعده بنفسه ..

قالت ميّار ممازحة

- اخبرني يا شهاب نحن قد اعتدنا على مذاق طعامك الشهي لكن كيف تعلمت فن الطبخ وانت تعمل كاشير فقط في المطعم

- بالعدوى يا ميار فمن عاشر قومٍ اربعين يوم اصبح منهم

فاقتحمت صفا الحوار قائلة

وهل سينتظر اربعين يومٍ ليصبح منهم

يعقوب: إن احبهم سيصبح من الساعة الاولى منهم

وإن لم يحبهم لو عاش الدهر بقربهم فلن يأخذ من اطباعهم وعاداتهم ذرة

مصطفى (ابو خالد): لكن هنالك الكثير من قصص الحب لا تولد الا نتيجة تناقض وكرهٍ بدائي

يعقوب: اعتقد ان في مثل هذه الحالات يكون تظاهرٌ بالكره وعدم الاعجاب بشخصية الطرف الثاني لكن الحقيقة عكس ذلك الحقيقة هي عدم الوصول لاتفاقٍ بين افكارهم وتناقض لا نهائي بين معتقداتهم وهذا ما يجعلهم اكثر انجذاب لبعضهم البعض لأجراء مناظراتٍ يريد كل منهم اثبات قوته ومصداقية عقله للطرف الاخر عن طريقها حتى الوصول لمرحلة النسيان ويجدون انفسهم فجأة انهم متفقون في الآراء لكن كل منهم يبحر من شاطئه الخاص

ميَّار: انا لا اعتقد انهم كذلك لكنهم وعن غير قصد يتنازلون عن بعض مقدساتهم للوصول لبعضهم البعض

صفا: لا اظن ان التنازل سيكون في تلك البساطة التي تتحدثين عنها لشخصين قد امتلكا حججاً وبراهين تثبت مصداقية افكارهم

ميَّار : بل اسهل مما تظنين .. من امتلك الحب كانه امتلك سلاحاً لا يقهر

شهاب: لدي رأيٌ اخر

نظر الكل اليه فقال لهم

- الطعام البارد لا مذاق فيه مثل حديثكم هذا تماماً

اتجهوا للمائدة و تناولوا الطعام بصمتٍ تام وعندما انتهوا عادوا لجلستهم تلك

- قل لي يا يعقوب هل هنالك طريقٌ للعودة

- لا ادري يا ميَّار فأنا ذاهبٌ لبلاد لا اعرف عنها سوى القليل ولا ادري إن كنت سأتعايش في مناخ عقولهم ام سأكون من المنبوذين هو توفيقٌ من الله وانا متكلٌ عليه

- ونعم الاتكال

صفا : انا متأكدة انك ستحب القاهرة يا يعقوب

- الاهم من ان احبها انا هو ان تحبني هي يا صفا

- إن احببتها احبتك يا صديقي

- لا لم تصيبي يا صفا فليس كل محبٍ محبوب وليس كل عاشقٍ مرغوب

- وهل يعقل ان يحب الانسان شخص لا يحبه

- نعم يعقل إن كان هذا الشخص لا يملك اي مشاعر حب او كره تجاهه

هذا الحب يكون محرماً في بعض الاحيان لان المحب لا يستطيع التعبير عن مشاعره

ميَّار: صديقنا يعقوب قد عشق يا ناس دعنا نراها قبل رحيلك

- لمن ؟

- لتلك المحبوبة التي لا تملك الجرأة ان تعترف لها بحبك وتعيش حياة العشاق السكارة

- وهل يعقل لمثلي ان يحب غير ذاته

- إن غادرتك كل اطباعك لن يغادرك الطبع النرجسي

- حب الذات هو تقديرٌ للذات وبناء مستقبلٍ لا ثغرات فيه اليس كذلك يا عم مصطفى

مصطفى: المهم الا يصنع منه هذا الحب شخصاً اناني فقد قال الرسول الكريم (لا يؤمن احدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه

-صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم

شهاب: هل سنكمل جلستنا دون قهوة يا يعقوب

- بالطبع لا انا ذاهبٌ لجلب القهوة هل تريدون شيء من الخارج

ميَّار : اريد الذهاب معك هل مسموحٌ بذلك

يعقوب: بكل سرور هيا بنا

اتجه يعقوب وميَّار لجلب القهوة كما اتجه شهاب مع مصطفى للحديث عن اكثر الامور تعقيداً وكيف تحول التحرر الاخلاقي الى انحلال بينما كانت صفا تراقب تجاعيد وجه ذاك العجوز الذي احتوى تفاصيل ابيها

- المصيبة الكبرى يا عم هي ان التربية لم تعد كما كانت فقد عُرِفَ منذ القدم ان المراب تربى على من كان رابيها

-لا يا بني فهنالك الكثير من الاشخاص الذين عرفتهم قد ورثوا اطيب السمعة عن ابائهم وللأسف قد افرطوا بها ولم يورثوها لأبنائهم

السبب الوحيد والازلي هو الابتعاد عن الله تعالى والاقتراب من المعاصي بداعي التحرر

- وما هو التحرر برأيك يا عم

- التحرر التربية الصالحة التي تهدف لبناء جيلٍ حضاري يخاف الله ومناقشة آرائهم وتقبل النقد منهم حتى ولو كنا اولياء امورهم التحرر هو تحرير العقل من التخلف والرجعية مع المحافظة على حدود الله التحرر هو التزام الاباء بعبادة الخالق ليلتزم ابنائهم ايضاً

-وما هو الانحلال برأيك

-الانحلال هو نزع الاخلاق من الجسد بداعي الديموقراطية او ما شابه ذلك

الانحلال هو نزع الحجاب بداعي حرية المرأة

الانحلال هو ان تجادل شخصاً لا يفقه من الاسلام شيء بأمور لا يجدر بنا الاقتراب منها فمهما كنا اذكياء وعباقرة لكن هنالك امورٌ يصعب على البشري استيعابها النقاش مسموحٌ بكل شيء الا بدين الله عز وجل فلا نقاشٌ يليق بعظمته وجبروته الدين لله وحده لا شريك له وهناك حدودٌ لا يجب علينا الاقتراب منها

الانحلال ان ترى جيلاً كاملاً قد ولدته امه على قول شهادتين وهو لا يملك حجةً يدافع بها عن دينه وفي المقابل هو يملك الكثير من التفاهات والكثير من الفتيات والكثير من الامور التي لا تليق بفتى قد ولد مسلماً

قد ابتدأ اعصار الانحلال يا ولدي منذ ان ابتدأ التبادل الثقافي بين الشعوب المشكلة ان هذا الامر بغاية الروعة لكننا مع كامل الاسف لم نأخذ سوى اسوأ ما اعتادوا على القيام به

اليوم نحن نشاهد اكبر حربٍ باردة قد شنت علينا حرب مواقع التواصل الاجتماعي الذي ابتكروه ليعيقوا تقدمنا وليشغلونا بأمور

لا تخلو من السخرية نسال الله تعالى ان يصحح مسارنا وان نعود اليه تائبين

كانت صفا في هذه الاثناء تنظر الى مصطفى وهو يتكلم فكانت حروفه ونغمة صوته كافية لتعود بذاكرتها

- نسال الله الصلاح

صفا: مهما كان الاباء حريصين يا شهاب سيبقى للأولاد دوراً اساسيا في الانحياز نحو الشخصية التي يفضلونها فهنالك الكثير من الاباء الملتزمين ويورثون ابنائهم افضل الاخلاق لكن وللأسف اولادهم سرا يفعلون عكسها

مصطفى: المصيبة هي ان يجتمع انحلال الاولاد والاباء في انٍ واحد

صفا : هذه كارثة يا عم وليست مصيبة ان ترى تشجيع الاباء للأبناء عبر منصات التواصل الاجتماعي وان ترى تأييدهم لأبنائهم لصناعة محتوى لا اخلاقي ونشره وجلب المشاهدات لكسب الاموال هذا بعينه امر كارثي

شهاب: المحزن في الامر انه هنالك الكثير من المواقع تهدف لنشر الثقافة الفكرية والتوعية الدينية لكن قليلون من يتوجهون نحوها

مصطفى : وانا امل ان تكون هذه القلة هي التي ستغير المسار وتنحرف عن الضلال وتعمل على اعادة الاجيال القادمة الى رشدها

وقف مصطفى واشعل سيجارته واتجه نحو النافذة وبدأ يدندن بعض الانغام ثم قال

- تأخروا اليس كذلك

شهاب : نعم سأتصل بيعقوب لأراهم

- فلتخبره بان يأتي لي بعلبة سجائر فالحديث معكم يحتاج الى الكثير من النيكوتين ...

-حسناً يا شهاب لن اتأخر

اغلق يعقوب هاتفه واكمل مسيره مع ميَّار

ميَّار : ما بك يا يعقوب

- لا شيء يا ميّار انا بأفضل حال

- شديد الكتمان يا يعقوب تكلم لو لمرة دون سحب الكلام من فمك

- ما رأيك بجولةٍ ليليةٍ سريعة حول قلعة حلب

- الان .. وماذا عنهم ؟

- لن نتأخر سنعود على الفور

- كم تبعد القلعة الان

- كل دروب الحب توصل إلى حلب وكل دروب اليأس توصل الى قلعة حلب

- حسناً فلنذهب

وصلا الى قلعة حلب وكان الهواء الطلق يحمل انغام القدود الحلبي التي تلاعبت بين المقامات الموسيقية فنسمةٌ تحمل معها النها وند ونسمةٌ

اختارت الحجاز ونسمةٌ انفردت وابدعت بحملها مقام السي كام عندما القاه الراحل صباح فخري بكلمات

ايها الساقي إليك المشتكى

- هل تروقك القدود الحلبية يا ميّار

- ومن منا لا تعجبه ومن منا لا يحب حلب وانغام حلب

انظر لهذه القلعة قد استوطن على حجارها الكثير والكثير لكنها لا زالت شامخة مثل قلوبنا تماماً

- وبعد مرور كل تلك المدة هل اصبحت بخيرٍ الان

- نعم كما تعلم انا سريعة النسيان

- نعم وكما اعلم انت سريعة التظاهر في النسيان وليس النسيان

- وهل ترى النسيان بتلك البساطة التي تتكلم عنها يا يعقوب

لم يكن الانتصار يوما هو النسيان بل التظاهر بالنسيان يا يعقوب

رغم كل ما تحمله من بؤس داخلك تظهر وكأنك جبلٌ شامخ يأبى الخضوع

انا لست بخيرٍ يا يعقوب نعم اظهر عكس ذلك نعم دائما اكون القوة في وقتها لكنني لست بخير

اعيش اسوأ ايام حياتي ، فداخلي يحدث ما لم اتمناه لعدوٍ لي ان يحدث

سئمت النفاق على نفسي وعلى الجميع احن لخبز امي وقسوة ابي لكنني اكتفي بالحنان وارجو ان لا يتحقق ما اريد لكي لا يحدث ما لا اريد ، انا عاهرة بالنسبة لهم يا يعقوب

كان الله في عون الانبياء والرسل

فيوسف الصديق ذاق ما ذاق من اتهاماتٍ وكذبٍ وزور

وسيد المرسلين محمد ايضاً كان بنظر سكارا العقول ساحراً

وموسى لا يختلف كثيراً ايضاً

مريم العذراء التي اخرج الله من رحمها آيةً للناس ورحمة

لولا المعجزة التي انزلها الله على لسان المسيح عيسى وهو في المهد صبياً

لكانت في نظر قومها بغيا

دائماً ما ادعو الله ان يجعل لي نصيبٌ من الفرج

انا بريئةٌ مما يدعون فبرئني في عيونهم ربي لأعيش بسلامٍ وراحة بال

اخفت دموعها واسدلت على همومها ستار النهاية بقولها ليعقوب

محاولتاً ابعاد الحديث عنها وعن ماضيها قالت

- لماذا لم تحب حد الان يا يعقوب

الحب في قاموسنا شيء بغاية الصعوبة

نحن وقد عرفنا منذ القدم اننا لا نحب سوى انفسنا لكن تأكدي وإذا حدث واحببنا احدهم سنكون حينها من المتيمين العاشقين لتفاصيله السيئة قبل السليمة سنحبه وسنستمر في حبه حتى ولو كان لا يبالي لأمر حبنا هذا .. الحب مقدسٌ يا ميّار

انا احببت

لكنني لا املك الجرأة لأكلمها عن مشاعري او لربما كبريائي لا يسمح لي بذلك لكنني حرفياً اعيشها

اراقب تحركاتها عن بعد متى تكون متصلتاً على مواقع التواصل الاجتماعي ومتى تغلق احدد مزاجها واطمأن على صحتها من خلال منشوراتها اليومية اكره الانترنت انا يا ميّار لكن لأجلها اعشق ما حرمت على نفسي

هذا هو الحب يا ميار ان استمر بالانتظار حتى يخلق الله ما يشاء

لكن ما يؤلمني ويزيد من لهفتي لها انها لا تدري او انها تدري وتتظاهر بانها لا تدري او انها تدري ولا تريد اظهار ذلك

لكن المهم انني ادري نعم انا ادري انني احبها

وبعد صمتٍ طويل قالت ميّار

- والان ماذا حدث

- كل ما حدث يا ميّار اننا افترقنا حينما اوشكنا على اللقاء ابتعدنا قبل الاقتراب وغادرنا المحطة قبل الوصول للمراد ورمينا كلمات الوداع قبل خطاب الترحاب ساد الصمت قبل عزف الحان الفرح وافترقنا ...

- هل يمكننا العودة للمنزل

- بكل تأكيد

اتجه يعقوب ومعه ميّار والصمت كان مرافقهم طيلة الطريق

لا يجرؤ احدٌ منهم على التكلم خوفاً من انتهاك حرمة الصمت الذي تجلى بوجوده داخل عقولهم التي باتت تفكر فيما سياتي

شردت ميّار بذاكرتها وعادت للقاءاتها الاولى مع يعقوب

كانوا يحتسون القهوة وهم في طريقهم عائدون من جامعتهم

- اخبرني يا يعقوب ما هو الشيء المهم بالنسبة لك لبناء اي علاقةٍ بغض النظر إن كان حبيباً ام صديق

-التفاصيل يا ميّار نعم انا شخصٌ اعشق التفاصيل ولا احب الانخراط بها احب معرفتها باي علاقةٍ كانت

-وكيف تعشقها ولا تحب الانخراط بها

-اعشق معرفتها يا ميّار للنجاة من الصدمة حين معرفتها في وقت متأخر لكنني وان عرفتها منذ البداية فلن تكون ثغرة في طريقي مطلقاً سأكمل مع الشخص لمعرفتي بها مسبقاً

- لا افهمك يا يعقوب انت شخصٌ غامض حقاً

- ولن تعرفينني فانا نفسي لا اعرفها

التفاصيل يا ميّار هي ذروة العلاقات هي اساس كل كلمةٍ ستنطق مع مرور الوقت مهما كان التفصيل صغيراً سيكون بالنسبة لشخصك المفضل اكبر من ما تتخيلين...

اخرجها من شرودها صوت يعقوب

ها قد وصلنا الا تريدين النزول

وعند وصولهم للمنزل كانت الاجواء هادئة صفا كعادتها تحتسي كلمات الكتب ولا تمل من مذاقها ابداً وكان شهاب ومصطفى يستمعون لموشح ملا الكاسات ويتناظرون على كلماته ومعانيها

شهاب : تأخرتم كثيراً

يعقوب : ازمة مواصلات وانت اعلم بها

- ارجوك لا تكلمني عنها فهي كابوسي الازلي فالوصول صباحاً للعمل اصبح من قائمة الامنيات بالنسبة لي

ميّار: انا سأذهب لأعداد القهوة

صفا: سآتي معك

يعقوب : لحين تحضير القهوة سأذهب قليلاً لغرفتي واترككم في حضرة الموشحات هذه

اتجه يعقوب لغرفته وجلس خلف مكتبه فتح مذكرته وباشر في الكتابة

- بسم الله ابدا كلماتي وللمرة الاولى اعترف لنفسي بضعفها وقلة حيلتها انا لم اتجرأ حتى لان المح لها انا اعلم ان كبريائي لم يسمح لي بذلك خوفاً من كبريائها خوفاً من عهدنا القديم خوفاً من ردها التي لطالما اعتدت على مفاجئتي به خوفاً من كسر ثقتها فقد اعتادت على ان اكون لها صديقاً مقرب ولا شيء اكثر من ذلك اللا مبالاة التي فرضتها على نفسها اولاً وعلى من حولها تزيد شغفي تجاهها هي تنتمي الى النساء والنساء قلة في ايامنا هذه اصحاب الاقنعة متعددة الاستخدامات قد استحوذوا على كل مكان في مجتمعنا المنافقون المتظاهرون بالطيبة وهم عكس ذلك هي ليست مثلهم هي المرأة الوحيدة التي ارتدت قناع القوة لتواجه به هذا العالم تخلعه بعد منتصف الليل لتظهر ما بداخلها من شفقة وحب وخوف من كل شيء وانتظار اللا شيء هي القلب الكبير الذي يعفو عن الخطأ مهما بلغ

حجمه من كبر المشكلة انني اعلم كل هذا وهي تعلم انني اعلم لكنها لا زالت تنكر هذه الصفات لا زالت تكابر على نفسها

هي الحب والغيرة هي الذاكرة التي لا تنسى وتتظاهر بالنسيان هي الاصفر بكل ما يحتويه من معاني هي ميّار...

- هي يا يعقوب هل ستترك ضيوفك وتجلس وحدك

- انا قادمٌ يا شهاب

اغلق المذكرة واتجه نحوهم كانت القهوة بانتظار دخان سجائره

كانت صفا في هذه الاثناء مكتفية في النظر لمصطفى الذي اشبعها بتجاعيد وجهه ما فقدته من حنان الابوة وكانت تبحث عن الكلمة التي تجعله يتكلم لإشباع رغبتها اكثر فأكثر..

إنه الشوق يا سادة .. العدو الأكبر للإنسان مهما كان جباراً مقاوماً سيخضع امام الشوق عندما يلامس قلبه ويستحوذ على تفكيره ويستحل عقله يجعل الشاب مكتهل في ذروة سنين شبابه يستعمر على ما اسفل العيون ويرفع راياته السوداء.. الحنين لاحدٍ يجعلك تبحث عن اشباهه الاربعين اكثر من البحث عنه ذاته...

نشوة الشوق لا تفارق المشتاق ازلياً ترافقه اينما ذهب واينما جلس باستنشاق رائحة العطر او رؤية ملابسٍ مشابهة او حتى اسلوبٍ في التحدث طريقة نطق الحروف هواية او اي شيء عابر يجعله قادراً على خلق صلة وصل بين عقله وبين صاحب تلك الصفات الذي ابتعد عنه أيا يكن اخ... حبيب... زوج... صديق... اب ..ام

وهذا كان سبيل صفا ايضاً لإطفاء شوقها في النظر إلى العجوز مصطفى والحنين لوالدها الذي فارقها وذهب للسماء بحثاً عن الطمأنينة التي افتقدها في الارض

بينما كان يعقوب منشغلاً باختلاس النظر لعيون ميَّار وحركاتها العفوية التي باتت تهدد قلبه بالتخلي عن مبادئٍ واسس قد تعهد ان يفرضها على ذاته منذ زمن

لكن هنالك شيء ما داهم قلبه واستوطن على عرش عقله ليستبيح افكاره ويغتصب عقيدته الانطوائية إنه الحب

العجيب في الامر انه قد وجد نفسه مع شخصٍ بعيداً عن افكاره وعزلته بعيداً عن عقيدته التناقض بينهم بأعلى مستوياته

وبهذا القدر من التناقض تراهم متشابهين لأبعد حد

هم خطان متوازيان لا يلتقيان بتا ومع ذلك وجد نفسه معها ..

عجيبٌ امر قلوبنا هي سلطانة ذاتها لا عقل يحكمها تختار من تشاء وترفض من تشاء

شهاب .. كان قد سرح بدموعٍ تكاد تحرق وجنتيه مع انغام بعض المقاطع الصوفية التي اختلى بها واعتكف بين كلماتها مبتعداً عن الوجود ...
الانتقال من شخصٍ قد اتبع الضلالة واضل طريق الله تعالى وفسق عن امر ربه واغواه جمال الكوكب بما يحتويه من فاتنات كاسياتٌ عاريات انشغل عن جنة الاخرة في البحث عن متاع الدنيا إلى شخصٍ يحمل عكس هذه الصفات بما فيها شخص اختار التقرب من الله وفضل ان يكون من الاوابين واتمام مراحل حياته الدراسية والحصول على الشهادة الجامعية لكلية الهندسة الكهربائية والعمل في مجالٍ بعيداً عن شهادته الجامعية سعياً وراء لقمة العيش لا اكثر ..

هذا التحول الذهبي يمكننا ان نطلق عليه لكن في الوقت ذاته الحلم الازلي لصاحب هذا التحول هو فقدان الذاكرة والتعايش مع حاضره فقط والانفصال عن الماضي بشكل نهائي وهذا هو حال شهاب ...

وقف واستأذن لصلاة العشاء وعندما انهى صلاته قالت ميّار

- رياءٌ مقبول ..

-التزامي يا صديقتي ما هو الا تغفيرٌ عن ما مضى ولا زلت اظنه ليس كافياً للتكفير اما عن الرياء فلا وجود له في حياتي او لربما في حياتي الكثيرين مثلي

إن كنت تريدين رؤيته جلياً تستطيعين الذهاب إلى اصحاب النفوذ والسلطة أولئك الذين يظهرون ايمانهم ويكتمون حقدهم يظهرون كرمهم امام زمرةً من الناس لصالح تحقيق رغباتهم هم يجمعون الرياء مع نفاقهم مشكلين كتلةً قادرة على جذب اكبر عدد من المتعاطفين معهم وفي الوقت ذاته قادرة على سلب اموالهم ودمائهم

اشعل مصطفى سيجارته مبرزاً تلاميح تؤيد كلام شهاب

- هذا الرياء الذي تتكلم عنه لطالما كان سلاحاً رئيسياً لتلك الفئة من المجتمع فالصدقة ليست صدقة بالنسبة لهم بل هي طعمٌ لنيل اكبر عدد من الصيد يذهبون للمساجد بأجسادهم فقط وصيامهم إن وجد كان عن الطعام لا اكثر هم خلف الشاشة مناصرين للحق وهم اهل الباطل خط الدفاع للفقراء والواقع يقول انهم عدوهم الاول

لسانٌ ينطق بشعارات الصبر والمقاومة والتصدي وقلبٌ يطمح لمص دماء المساكين اكثر فاكثر ..

يسلبون الحق ويقاتلون الباطل احفاد لوسيفر البشريين وهذا افضل مصطلح يطلق عليهم

وبصوته العذب رتل آية من سورة النساء

(إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يراءون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلاً)

وتوكيداً من الله تعالى في سورة البقرة

وقال تعالى(يخادعون الله والذين امنوا وما يخادعون إلا انفسهم وما يشعرن)

صدق الله العظيم

وكالعادة كان لميّار وجهة نظرٍ مختلفة

اظن اننا نحن من افسحنا المجال لهم...نعم ففرعون اتخذ نفسه إلاهاً لأنه لم يجد من يردعه من قومه كانوا ضعفاء الايمان والمنطق حتى اتخذوا بشرياً ذو جسدٍ لا يزيد عنهم بميزة إلاهاً لهم

وعندما اتى موسى بعصاه واخاه هارون اظهر الحق وناصر المظلوم وكان للضعيف ملجئً.. فموسى ما كان يملك نفوذ فرعون وحاشيته فكل ما كان يملكه قاب قوسين او اقل بكثير من مال فرعون وسلطته

لكنه امتلك شيئاً عظيماً امتلك الايمان والعقل وكان هذا كافياً لردع فرعون وقوته

واليوم نحن نواجه في حياتنا اليومية الف فرعون لكننا لا نحمل شيئاً من ايمان موسى وعقله

وقف شهاب موجهاً حديثه لميّار

- لا تستطيعين اطلاق حكمٍ مطلق يا ميّار

انت تريدين من الرماد الهش ان يوقد نفسه ناراً وهذا شيءٌ مستحيل

نحن نملك الايمان والمنطق وإن اعتصمنا انتصرنا لكننا لم نعد نملك الطاقة اللازمة لمثل هذه الانقلابات

عشنا حرباً لا نحسد عليها بتّا لكلٍ منّا فقيداً او مصاباً او جريح

لم يعد لدينا شغفٌ نحو ما هو افضل لم نعد نمتلك نفساً تتقبل فكرة العيش بسلام .. دون خوف او قلق او حذر

بسطاء نحن لدرجةٍ يصعب وصفها

لا نطمح لان نملك فيراري او بدلة رسمية نذهب بها إلى احد شركاتنا لتنال اعجاب الموظفة الشقراء

لا نطمح لعشاءٍ فاخر في احدى المطاعم التي احتاج لشرب فنجان قهوة فيها مرتب شهرين

لا نطمح لشهر عسل على ظهر يخت في المالديف

كل ما نطمح إليه هو العيش بسلامٍ فقط .. ان نجمع ما يكفينا من المال لتكوين اسرة صغيرة وفض حاجاتنا اليومية

وفي طرفٍ اخر من المجلس كان هنالك صوتٌ رقيق ودافئ يعطي بعض النصائح ليعقوب وكأنها تحمّل ولدها اوزاراً من التعليمات والوصايا ليعيش بهدوءٍ وسلام بعد موتها

-انت ذاهبٌ لمكانٍ بغاية الجمال يا يعقوب

حذاري ان تنغرَّ بجماله فتغرق

حذاري ان تذوق من بؤسه فتعلق

حذاري على قلبك يا يعقوب

حذاري من همومهم ان تتعبك لأنك وبطبعك ذو اذانٍ صاغية فضولياً وبصمت تجعل من كان امامك يبوح بكل ما بداخله دون ان يدري وهم بطبعهم كثيرون الصمت ممتلئين الكلام

مرضاك يا يعقوب من الطبقة ذات المستوى الرفيع جداً فتوخى الحذر منهم من المافيات ومنهم من اصحاب النفوذ والسلطة وما بينهم الطبقة الغامضة التي لا تتحكم بلا شيء

وسأحدثك الان عن قصةٍ حدثت معي شخصياً في تلك البلاد

انسحب يعقوب وصفا من الجدال السرمدي الذي يدور بين اعضاء الحفل متوجهين نحو الاطلالة الساحرة التي تستقبل نسيم الهم والغم والحزن الصادر عن ابناء المدينة

-ومن آياته ان خلق لكم من أنفسكم ازواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودةً ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون

ما هو الشيء الذي يمنعك عن الزواج طيلة هذه السنوات

كان هذا سؤالي لاحد الاطباء المناوبين وهو يزيد ابي عمراً او يساويه

- وكما نقل عن المتنبي . هذا ما جناه ابي وانا ما جنيت على احد

- لا يهمني ما يقوله معشر الشعراء فهم اصحاب مزاجٍ متقلب

يرمون علينا كلماتهم ويقبضون ثمنها ويرحلون

- انا لا اتقيد بما يقوله الشعراء يا بنتي لكنني اضرب لكِ مثالاً

فعندما قالها لم يقلها عن عبث

وبكل بساطة انا لا اريد عيش فترةٍ غرامية لأدفع ثمنها فيما بعد وانا متيقن ان ثمنها ليس بالقليل

لا اريد عيش ساعاتٍ لا تخلو من الحب لأدفع ثمنها جيلاً لن تخلو اجسادهم من الشقاء

سأكتفي في التعب وحدي لا اريد ان اتركه إرثاً لأطفالي

ومن جهةٍ اخرى كحالكم اليوم يا بنتي كنا نعيش اسوأ الايام من الناحية الاقتصادية صحيحٌ ان السنوات التي عشناها كانت مليئة في الخيرات لكن كوني واثقتاً ان العصور تتكاثر والعدو واحد

النعيم والخيرات وجنان الارض لأصحاب المال

اما الفقير فنعيمه ينتظره في جنة الخالق

كنت في سن الشباب منشغلاً في متاع الدنيا واشياءٍ اخرى وعندما اصبحت على ابواب الثلاثين توفيت امي وفي العام ذاته تزوجت اختي وغادرت البلاد وانا اكملت ايامي منشغلاً حتى داهمني سن الاربعين وحينها لم افكر بالزواج مطلقاً

- لكنك إن قصدت قبل وصولك سن الاربعين لن يخيبك القدر اليس كذلك

- نعم لكنني كنت منشغلاً بأمورٍ اهم من الزواج حتى

- اظن ان هذه الامور هي ذاتها الاشياء الاخرى التي لم تريد الافصاح عنها

- ربما

- انبأني إن لم تمانع

- يقولون ان المرء يكمل نصف دينه في الزواج اما عني فقد كنت ابحث عن النصف الاول حتى وصلت إليه واعتنقت الاسلام

وبنظراتٍ لا تخلو من الصدمة نظرتُ إليه

- حسب معلوماتي انك ذو اصولٍ اسلامية اليس كذلك

- نعم لكن هل تظنين ذلك كافياً لأكون مسلم

إن دين الاسلام دين عقيدةً وحكمة وشريعةٌ على استقامةٍ ازلية لا انحراف فيها

الاسلام هو ان تدرك ان الكتاب المقدس الذي تحمله بين يديك هو كتابٌ يحمل علماً يحمل اسراراً يتوجب علينا اكتشافها يحمل حقائق لن تحصيها اكبر الدول يحمل مفاهيم لن يستوعبها بشريٌ اسما يحمل مشاعر تستطيع حل اي عقدةٍ نفسية على وجه هذا الكوكب عليك ان تدركي ان تلاوة القرآن بناءٌ للإنسان اكثر من اي كتاب بنّاء وحاشا الله ان تتم جملة المقارنة هذه

اما عن الذين يرتلون الكلمات المقدسة لإتمام طقوس دينهم الذين لا يفقهون منه شيء فهم مسلمون لانهم خلقوا على هذه الشاكلة ولو انهم خلقوا على غير دين الاسلام لما تركوا دينهم ولا قنعوا بغير دينهم ديناً

- اليس هذا بديهياً اقصد انه من المستحيل ان يقنعني اي شخصٍ بارتداء غير الاسلام ديناً ومن المحتمل لو كنت انتمي لا قدر الله لغير ديانةٍ لكنت فعلت ذات الامر ولحمد لله على نعمة الاسلام

- ولهذا كان جوابي واضحاً وصريح عندما اخبرتك انني كنت اعتنق الاسلام

- اسمعني المزيد ارجوك !

- تعود هذه القصة إلى خمسةٌ وعشرون سنة مضت

وبعدما تزوجت اختي بعدة شهور اصبحت شخصاً يهوى الانطوائية يعشق الوحدة يبتعد عن التجمعات مهربي الوحيد انغام ام كلثوم اكتفيت حينها بتذوق طعم الحب من كلماتها

كنت اعمل في مكتبةٍ لبيع الكتب وكان للكتاب نصيبٌ من الشهرة في ايامنا بحكم غياب الاجهزة الالكترونية ومواقع التواصل الاجتماعي

كنت اقضي اغلب اوقاتي برفقة الكتب والروايات الغرامية كنت شخصاً لا حياة له وكنت ابحث عن الحياة بين حروف الكتَّاب المخادعة التي تعطي للقارء ما تهواه نفسها فقط

كوني على يقين ان الكاتب يستطيع السيطرة على ادمغة القرّاء وتوجيهها نحو اهدافٍ مدروسة وخصوصاً إن كان القارء من الاشخاص المتقمصين فاقدين الشخصية لا يملكون رأي يعود لعقولهم ولاستقلاليتهم يجيدون الانحياز بشكلٍ غريب وهذه الزمرة هي المفضلة لبعض الكتاب

ولان الاعتراف فضيلة للمؤمن كنت انتمي اليهم وبسبب الفراغ الاجتماعي كنت اعيش التقمص بحذافيره احزن عند انتهاء روايةٍ عشت احداثها بصحبة ابطالها

اقع بغرام احد الفاتنات وارسم حياةً مبنيةٌ على مشاركتها ادق تفاصيل حياتي ..

الفراغ يا ابنتي يجعل من البشري جسدٌ هش لا طموح له ولا احلام يجعل منه شخصٌ يتعلق بأدق التفاصيل خوفاً من فقدانها

يراوده دوماً الشعور بالخيبة شعور انعدام الاهمية لوجوده مطلقاً شخصٌ فارغ لا يقوى على مواجهة نفسه فكيف والمجتمع الذي لا يرحم وهذا ما كنت اعيشه حرفياً

وبعد الكثير والكثير من احتساء الكتب وقع بين يداي كتاباً واتمنى عدم سؤالي عن اسمه او لأي كاتبٍ ينتمي

كان يتحدث عن الاديان السماوية من منظورٍ نتن لدرجة لا توصف يظهر في حروفه الطفل البريء للماسونية ويتكلم عن فضيلتها الخبيثة ويخفي عن القارئ الشيطان اللعين الذي استحوذ قلوبهم كان يتهم الاسلام بالإرهاب المباشر ويظهر العلماء بصورةٍ تكفيرية ولأن ايماني كان ضعيفاً حينها انجررت وراء كتاباته

واصبحت شخصاً بعيداً عن الاسلام بعد الشمس عن الارض اقرأ ما يبعدني عنه بغاية الاقتراب منه وانا تائه بين حروفٍ لا دين لها

دخلت عالم الالحاد واعتزلت الاديان جميعاً كل هذا بسبب حماقتي بسبب الافراط في الثقة ثقتي بالكاتب وثقتي بالسيناريو وبسبب ابتعادنا عن الامور الدينية المعقدة.. الابتعاد عن الاسالة الغامضة التي تدور في رؤوس الالاف وما من متجرأ يطرحها خوفاً من الاعصار الاجتماعي الذي سيتلقاه بسبب غياب رجال الدين الذين يجدر بهم نشر اجوبةٍ تسكت اي شخصٍ يتجرأ على التطاول على ديننا المقدس كثيرون من يرتلون القرآن لكن قليلون من فهموه كثيرون من حفظوا الاحاديث النبوية لكن قليلون من طبقوها على ارض الواقع

وفي تلك الفترة اصبحت تائهاً في كوكبٍ خالقه ربي وربك لكن للّعين وسواس قد اقتحم عقلي وافكاري

وبعد التعمق والتعمق في الكثير من الاديان السماوية والاديان الغير ابراهيمية كالهندوسية وما شابهها

اكتهل جسدي وصفرّت عيناي واصبحت عاجزاً عن اقناع ذاتي بذاتي التي اعيشها انتقلت لعالمٍ لا يشبه عالمنا مطلقاً

عالمٍ غامض عالمٍ لا عقل يحمله ولا جسد يقاوم العيش فيه

عالمٍ يؤمن بربوبية ابليس اللعين والعياذ ب لله اشخاصٌ لا رحمة في قلوبهم ولا عقول في رأسهم يتبعون قواعد وعقائد مختلفة لكنهم يتفقون على ذات الفاحشة طقوسهم الدينية مليئة بشرب المخدرات يستمتعون بطقوسهم اللعينة بعد منتصف الليل ضلالتهم اودتهم للمقابر لنبش قبور الموتى والعبث والرقص حولها

اعرضت عنهم وابتعدت عنهم وعن عالمهم اللعين

وكيف لي وانا صاحب عقلٍ ان اتقبل فكرة ذبح الحيوانات وشرب دمائهم !!

ابتعدت لمجرد القاء نظرةً على انجيلهم الانجيل الاسود كما يسميه مؤلفه (انتون لافي) وهو احد الملحدين

والذي امرهم به بقتل الاجنة والعبث في الارض وقتل الاطفال وصنع السلاح من عظامهم لم تروقني طقوسهم التي تنافي العقل والمنطق والقلب

والرحمة لم تروقني تلك النار ولا موسيقى الروك الصاخبة التي يحتفلون بها لم يروقني هذا العالم اللعين مطلقاً الذي احتوى على عدة منظمات واهمها واشدهم خطراً منظمة ONA, والتي تأسست عام 1966 على يد ذات الكاهن اللعين انتون لافي

ولان الله ارحم الراحمين واكرم الاكرمين وهبني كما وهبك عقلاً يرفض تلك الافكار مطلقاً وقد لطمت نفسي على الموضع الذي وضعت نفسي به

قد قررت اخيراً العودة إلى رشدي او إن صح الكلام قد اراد الله ذلك

قررت البحث في الديانة الاسلامية واعتناقها من جديد بقناعةٍ وعقلٍ قد ايقن ان الدين عند الله الاسلام

بحثت في الكتب الاسلامية التي تعود للعصور القديمة

استاءت حالتي الصحية نتيجة الابتعاد عن الطعام والغذاء وما اعادني لرشدي واجمل ما في الامر انني ناجيت خالقي حينها من دون وعي ودون ارادة ناجيته بسري بقلبي بضعف حيلتي ناجيته بقول ربي اغفر لي وارحمني وهب لي من لدنك رشداً ..

وهنا خانته عيناه واسقطت دموعه لتكشف ما عمل على اخبائه سنوات

استمريت في الدعاء حتى نفطر قلبي وجاءني الدواء من السماء وتذكرت حينها قول الله تعالى

(الم اعهد اليكم يا بني أدم الا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدوٌ مبين وإن عبدوني هذا السراط المستقيم)

وبعدما خرجت من المشفى ذهبت للمنزل وكانت الصدمة لا توصف من رؤية الدمار الذي كنت اعيشه في المنزل

نظفت المنزل وشرعت الستار مجدداً لتدخل شمس الايمان لقلبي

عدت لحياتي الطبيعية وانا بكامل نشاطي الثقافي وبأشد التزامي الديني ...

المشكلة ان ذاك انني اخطأت في انتقائي للكتب واتبعت طريقاً غامضاً نهايته عسيرة والحمد لله انني خرجت منه

- وهل يا ترى من المتهم الاول في هذا

-لهذه القضية اوجه مختلفة واكثر من جاني متسبب بها

الجاني الاول هو العرف المزور الذي يملك افكاراً مدسوسة منذ القدم والذي حمله اسلافنا على طبقٍ من ذهب وانا لا اتكلم عن العرف بالعمومية بل اخص بعض الافكار المتداولة والتي لا يتقبلها لا لعقل ولا الدين ولا المنطق

لمجرد الالتزام بنظريات لا دين يحميها ولا فكر يقبلها هذا الشيء كافي لجعلك مشاركاً بجريمة نقلها وتداولها

نظريات تؤمن بان صوت المرآة عورة مثلا او ان تؤمن بان رفض الفتاة لشخصٍ قد وافق والدها عليه عار ومثل هذه الخرافات الكثير

اما عن الجاني الثاني فهو يأتي في المرحلة الثانية مباشرةً

هو عدم التزام اغلبية رجال الدين بالعهد الذي عاهدوا الله عليه ونشر ما يطيب لهم من الاسلام واخفاء ما انزل الله من حرية لعباده

عدم التزامهم بنشر الدين بصورةٍ حضارية وثقافية لنشأة جيلٍ يؤمن ب لله قلباً وقالباً

انا اعلم ان هنالك الكثير من المدارس الشرعية التي تهدف لنشر الدين لكنهم زمرةً من المجتمع والاغلبية للباقي

اما عن الجوامع والخطب التي من المفروض ان تكون بناءةً لدين الاسلام فقلةٌ قليلة ينتمون لهذا القبيل

-المحزن في الامر انني عندما كنت في الثالث ثانوي كان اهتمامي بمادة الديانة الاسلامية بأدنى درجاته والسبب هو انها مستثنى من المجموع النهائي وكأي شابةٍ في بداية عمري كان اهتمامي بباقي المواد الدراسية اكثر بكثير

-تماماً قلة الاهتمام تولّد قلة الالتزام

وهنا يأتي دور العنصر الفعّال بعد قطع مرحلتين من الجهل وصنع جيلٍ لا يفقه من دينه شيء يأتي دور بعض الاشخاص الذين يهدفون إلى سبيل اطاحة شريعة الاسلام

يقدمون لهذا الجيل مصطلحاتٍ ثقافية مدسوسٌ داخلها سمٌ شيطاني ليحتسيها بغرض بناء الذات وهو لا يعلم انه يفعل عكس ذلك

بغض النظر عن الطريقة أياً كانت

لكن المهم انهم استطاعوا الوصول إلى شباب المستقبل الذي قال عنهم عمر المختار بان النهاية ستكون عندهم

(ولا تظن انها النهاية سيكون عليكم محاربة الجيل القادم والاجيال التي تليه) ألا وقد خاب ظنك يا عمر ...

وعن طريق الانفتاح الثقافي وتبادل الثقافات حدث ما كان مخطط له وما لم يكن في الحسبان

وعن طريق الاجهزة والحواسيب استطاعوا اقتحام كل منزلٍ اغلق ابوابه بوجه اعصار الجهل وبفضل مواقع التواصل الاجتماعي ايضاً وصلوا للفئة التي كنا نتكلم عنها منذ قليل

استطاعوا نقل حضارتهم المزيفة وتاريخهم النتن

وازيائهم اللا اخلاقية

نحن نشاهدهم اليوم في كل مكان القليل من القماش لا يكاد يغطي القليل من الجسد

لا اقصد بكلامي التشدد الفكري والتعصب العقيدي على العكس تماماً انا لا املك اي مشكلة مع الاشخاص الذين لا يرتدون الزي الاسلامي وخاصةً النساء لكنني املك مشكلة مع الذين يرتدون ملابس عديمة الاخلاق وعارضة للجسد بغض النظر عن الجنس ذكر او انثى

والهدف من حديثي هذا هو اظهار لك مدى عمق تفكيرهم وخبث خططهم وتخلف عقولنا

ببساطة هم استطاعوا سحب بياضنا بسوادهم كل ما حدث هو تبادل للأدوار ليس اكثر فقبل قرونٍ كنا على عرش التقدم طبياً وعلمياً وثقافياً وحضارياً سلاطين

واليوم... لنا الله

اشعل سيجارة تدل على انهاء حديثه

- انت جريءٌ حقاً يا عم جريءٌ للحد الذي جعلك تخاطر بحياتك .. هل فكرت حينها بيومك الاخير على الارض لم تفكر انه باي لحظةٍ قد يأتي ملك الموت ويقبض روحك

- والحمد لله انه لم يأتي

ابتسمت ابتسامةً صفراء تدل على عدم تلقي الجواب الوافي منه

- اسمعي يا بنتي للخالق حكمةً بكل شيء على وجه هذا الكوكب وحكمته كانت هي ان اصادف في طريقي في البحث جماعات يجدر بي التوخي حذراً من مكرهم ولولا ذلك لما كنت كشفتهم

- سأعود بقصتك قليلاً إلى الوراء قد قلت انك اعتنقت الاسلام عن عقل وحكمة لماذا لم تتزوج إذاً

- ولو كان الزواج فريضةً لكنت الان املك فتاةً جميلة مثلك

انقطعت الامواج الصوتية التي تصدرها صفا بأمواجٍ تحمل من الجمال ما حملته

- وماذا بعد هل ستتركان لوحدي مع هذا المعتوه والعجوز الكبير

-دائماً ما تختاري الوقت الخطأ لاقتحامك يا ميار

- الان اصبحت مصدر ازعاج لك

اقترب شهاب وبخبثٍ عفوي قال

- اعلم انك شخصٌ لا مبالي يا صديقي لكنني كنت اظن ان لميّار مكانةٌ خاصة في قلبك وقد خاب ظني

ما كان ليعقوب إلا ان يتلطف خاطر ميار بكلماته

- ميّار هي الأنسان الوحيد الذي استطاع الوصول إلى اعماق افكاري ورغم الاختلاف الواضح جليّاً بين المعتقدات بيني وبينها إلا انها استطاعت الوصول لمكانةٍ لم يصل لها احدٌ من قبل

ميّار هي الفتاة القوية الضعيفة في الوقت ذاته خلف ابتسامتها الصفراء هنالك الكثير من الالم وخيبات الامل

اقسم لو ان كل فتاة مثل ميّار لما كان لمنظمات حقوق المرأة مكان في حياتنا لكانت المرأة حافظت على حقها بكبريائها وبعفتها بعقلها ووعيها

لم يتجرأ احدٌ قط على الاقتراب من حرمة يعقوب لكنك فعلتها يا ميّار...

قد سرق يعقوب النصوص من افواه الحضور ولم يكن هنالك اي ردٍ على كلماته من الحاضرين

.....

غايةٌ في الجمال يا صديقي ان تكون شخصاً دبلوماسياً بحت دائماً ما تلعب على وتر عكس الاوتار وهذه مراوغة قليلون من يجيدونها تعرض افكارك وحروفك على الاخرين دون النطق لهم توحي لهم بما تريد بتصرفاتك واسلوبك لكنك لا تتكلم مطلقاً

تحصل على ما تريد دوماً دون تعريض نفسك لسماع اي كلمةٍ تمس بكرامتك او تشوه كبريائك لهذا كن دائماً حريصاً على ترك مسافة امان بينك وبين الشيء الذي تريده أياً يكن هو حب او علم او شقة سكنية إن اردت اياك والاعتراف بكم الجمال الذي يملكه هذا الشيء لكيلا تدفع قيمتك الاجتماعية مقابل الحصول عليه

وهذا ما فعله يعقوب بعلاقته مع ميّار هو متيقن بانه يعشقها لكنه لا يظهر ذلك او يظهره بتلك المراوغة التي تبعد عنه اي تهمةٍ قد توجه له وفي الوقت ذاته يوصل ما يريد ايصاله دون وضع نفسه بخطر.. كان متيقناً انه على صواب بكل شيء وانه لم يخطأ حينما احب ميّار رغم كسره لأحد القوانين التي فرضها على نفسه لكن في الحب لا دستورٌ يطبق سوى دستور العاشقين

وفي هذه الاثناء انقطع التيار الكهربائي وقف يعقوب وذهب نحو الضوء البديل الذي اعتاد على استخدامه اهالي حلب (الليدات) وهم عبارة عن ضوء مصدره بطارية كبيرة الحجم او متوسطة حسب الوضع المادي لصاحبها ويتم شحنها اثناء وجود التيار الكهربائي وتفريغها بانقطاعه فعلاً الحاجة ام الاختراع !!

اشتعلت الاضاءة الخافتة وللظلام لمسةً صادقة تزيد الجلسة جمالية

شهاب : اضوائك خافتة لماذا لم تقم بشحن البطارية

يعقوب: اتخاف من الظلام يا شهاب

- لا بل اشتاق

- لمن

- في الظلام يا صديقي يفرج عن الذاكرة ويطلق سراحها لتعطي اجمل واقسى ما لديها من ايامٍ خلت واهم ما في الامر انني في كل ظلام اشتاق للقاء ربي جداً

اشتاق لكل شيء لنفسي لأمي لابي لإخوتي اشتاق لذاتي الاجتماعي لحدٍ كبير

صفا: هل من احد لا يكره الظلام

- على العكس تماماً وهل للمشتاق ان يكره طيف من اشتاق اليه

ميّار: اخبرني يا شهاب ما هي صلة الوصل بين الظلام وبين شوقك للقاء الخالق عز وجل

- وهل لنورٍ ينير القلب في ذروة الظلام غير نور الله عز وجل

- بالطبع لا

نظر مصطفى لشهاب ممازحاً راجياً العلم منه قال

- وكونك الان امام صوفي تجالسنا اخبرني شيء عن حب الله

- حب الله في قلوبنا سرمدي المدى يا عم واظن ان حروفٍ قد خلقها تعجز عن وصف ذاك الحب إنها فطرة القلوب

الفطرة التي تجعلك تؤمن بان الله غفورٌ رحيم وتجعلك خاشعاً عند قول شديد العقاب

عجزت تلك الدمعة ان تحافظ على قوامها في عينه

ميار: اتخاف عذاب الله وانت في جواره

- نعم اخاف وخوفي يزداد يا ميّار انا شخصٌ مؤمن واخاف الله لكنني ارتكب المعاصي وهذا ما يخيفني

- اغاب عنك قوله تعالى (وسارعوا إلى مغفرةً من ربكم وجنةٍ عرضها السموات والارض اعدت للمتقين الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين .. والذين إذا فعلوا فاحشةً او ظلموا انفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله)

- أستغفرك ربي على ذنوبي

اراد مصطفى الوصول للأولاد اكثر الوصول لجانبهم المظلم ومحاولة كشفهم بحزنهم وعيوبهم امام بعضهم البعض

كان قد ابتدأ بشهاب وانتقل لميّار ويا له من اختيار سيء

-انت لست من حلب اليس كذلك

- نعم لماذا تسال

- حسناً اخبرينا لماذا اتيت لحلب ولماذا لم تكملي دراستك الجامعة ولما قاطعته بنبرةٍ حادة

- ما رأيك بان تعيش حياتي وان تشاركني تفاصيلي

شهاب: ما بك يا ميّار

- انت اصمت ب لله عليك

كان يعقوب يراقب الحوار بصمتٍ تام وهو واثق ان ميّار لن تتكلم واذا تكلمت فلن تنطق كل شيء

هذا النوع من العقول نادرٌ جداً يعطيك ادق التفاصيل التي لا تعني له شيء لكي يشعرك بانك استحوذت على الكثير من تفاصيل حياته واصبحت على معرفة بأكثرها لكنه فعلياً يعطيك ما يريد ان يعرف عنه فقط ويخفي عنك الجانب المظلم من حياته ويبقي حلقةً مفقودة في سرده لا تكاد تعثر عليها حتى تختفي وتعيش وهماً اكسبك اياه بانك شخصٌ مقربٌ منه وانت لا تدري انك لا تملك من المحيط سوا قطرة وميّار كذلك

اشعل يعقوب صوت إمام الطرب والموشحات لينضم بصوته الحضاري لحديثهم وكان مقام الرست الموسيقي سيد الحضور بهيبته

ملا الكاسات وسقاني نحيل الخصر والقد

حياة الروح في لفظه

يا ليل

سباني لحظه الهندي

مليمي لا تسأل عني ودعني على عهدي

امان يا مليمي.....

مصطفى كان يحاول ان يغير مسار الحديث وقلب السؤال الذي وجهه لميار

-من منكم يعرف لمن يعود هذا الموشح

قال شهاب

- اظنه يعود بكلماته لـ احمد عاشور

وبألحانه لـ محمد عثمان

وصباح فخري الملقي غنيٌ عن التعريف

- اهتمامك في الفن الاصيل يعجبني يا شهاب

- انا لا اهتم يا عم بل احافظ احاول اكمال مسيرة اجدادي احافظ على شموخ حلب الداخلي فالحفاظ على شموخ قلعتها خارجياً لا يكفي

يجب ان نحافظ على عاداتها وتقاليدها وتراثها يجب ان نحافظ على المبادئ التي وضعها اسلافنا لنا والتي تميزنا بحضارتنا وثقافتنا

والمحزن في الامر ان شبابنا اليوم قد اضلوا هذا الطريق والقليل منهم من استطاع الاحتفاظ بهويته

صفا: من حيث؟

من حيث الانتشار الواسع لأشباه الرجال في المدينة واساليبهم التي لا تعد ولا تحصى ومنها التعري من اللكنة التي لطالما كانت الاجمل والامتع التعري من الطقوس التي فرضها اسلافنا علينا

التعري من اصولهم للأسف مما ادى إلى توكيد مشروع العولمة بشكلٍ كبير ومما زاد الفجوة بين المجتمعات ...

وبينما كان شهاب يسرد في حديثه مع صفا اقترب يعقوب من مصطفى وقال

لا تنتظرها فلن تتكلم

ابتسم مصطفى ابتسامةً توحي معرفته بهذا الامر

وقف مصطفى وقال انا متعبٌ بعض الشيء سأذهب لتناول الدواء وارتاح قليلاً اللعنة على النيكوتين يزيد عقولنا شباباً واجسادنا اكتهالاً

ميّار : اتسمح لي بالقدوم معك ايها العجوز

- لا مانع

ذهبت ميّار مع مصطفى لمنزله بعدما رأته بحالةٍ صحية ليست بالجيدة

شهاب: رقيقة القلب هذه الفتاة

صفا: لحدٍ كبير واظن انها ذهبت تبريراً لردها الصارم

- يا ترى ما وراء هذه الانسانة القوية اللينة

صفا: اسمع يا شهاب حتى انا لا ادري لكن تأكد ان كسر الفتاة لا علاج له

عندما اوصى سيد المرسلين في النساء خيراً لم يوصي عن عبث

فالامرأة مهما زادت قوتها وجبروتها تأكد ان كلمةً واحدة تلامس مشاعرها تجعلها تستسلم على الفور

تجعلها تبكي.. دمعة الفتاة سريعة الاستسلام يا شهاب

نسمع الكثير من الاحداث في ايامنا هذه وتكون الفتاة هي الضحية الاولى فيها من دون اي سبب لمجرد انها فتاة تملك معالم الجمال الذي وهبها اياها الله تعامل معاملة الفريسة التي ولا بد ان يأتي من يفترسها ويذهب

من منا ينكر دور المرأة في مجتمعنا وخصوصاً في هذه الاوقات العصيبة من عملٍ خارج المنزل حتى تأدية واجباتها المنزلية على اكمل وجه

وبكل تأكيد انا استثني من كلامي هذا بعض الفتيات الكاسيات العاريات فلا سامحهم الله ولا عفا عنهم

من اعتنقوا الاسلام لفظاً وتخلوا عنه فعلاً

من ارتدوا الحجاب لإكمال معالم جمالهم واظهار هيئتهم بأحسن صورة فقط

وليس للحفاظ على شريعتهم والالتزام بدينهم

انا لا اهاجم الاناث الذين لا يظهرون باللباس الاسلامي

فربي وربهم الله لربما هم افضل مني اخلاقاً واقرب مني الى الله تعالى لكنني اهاجم هؤلاء الذين ارتدوا الحجاب غصباً لمن ارتدوه خوفاً من جرائد البشر وليس من الله

اهاجم من اعتلوا مسارح منصات التواصل الاجتماعي لعرض مواهبهم القذرة ولمشاركة الناس اجسادهم

لكن الحق وكل الحق يقال انه صدق من قال لا خير فيكم ونسائكم عاريات

يعقوب: المشكلة التي نواجها اليوم انه اختلط مفهوم التحرر بالانحلال الاخلاقي للأسف

قد تعلموا ان خلع الحجاب تحرر وان تكون الامرأة قوامة على الرجل تحرر وان تظهر المرآة للمجتمع ما يجب عليها ان تظهره لزوجها فقط ايضا تحرر وغير ذلك او ما نافاه فهو تخلف وانغلاقٌ حضاري

للأسف ما حدث هو انهم حرروا اجسادهم فقط اما عن عقولهم ومنطقهم وثقافتهم الفكرية فقد اودوها امانةً ازلية في قاع بئر الجهل والتخلف الفكري

فسلامٌ عليك وعلى ميّار وعلى امثالكم بريئين منهم ومن افكارهم ومن تحررهم

شهاب: يعقوب.. لا تنظر لي هكذا انا جائع

....

في مكانٍ اخر

كانت الاجواء مختلفة كان صوت العندليب سيد المجلس

على حسب وداد قلبي يا بوي

رح قول للزين سلامات

على حسب وداد قلبي يا بوي

ميّار: زوقك من المقام الرفيع يا عم

- ربما .. على اي حال شكراً لك

- اسمعني جيداً قد اتيت معك لأفرغ ما بداخلي لرجلٍ عجوز لربما اصابه الزهايمر واظن انك مستعدٌ للسماع

اشعل سيجارته فأكملت قائلة

- بدأت قصتي منذ دخولي للجامعة وكأي فتاة كنت سعيدة في الوصول للحياة الجامعية لإكمال تحصيلي العلمي

كانت السنة الدراسية الاولى بغاية الجمال اشخاصٌ جدد داهموا حياتي وتركوا بصمتهم في حياتي ومنذ دخولي للسنة الاولى تعرفت على فتاة جديدة كانت تقيم في السكن الجامعي

وكانت دائماً ما تتودد إلي لمساعدتها بحكم انها غريبة البلد وانا لم امانع ابداً زادت علاقتي بهذه الفتاة لدرجة كبيرة

- لم اعد احتمل يا رغد هذا اللعين لا يفارقني وكلما ابيت عن تحقيق رغباته زادني ظلم وحرمني من التقديم

- وهل باليد حيلة يا ميّار

- وغدٌ لعين سأريه في المرة القادمة مقامه النتن

- لا تبالغي في الامر يا ميّار اما عني فانا لا ارى بتصرفاته ما يوحي ذلك

- هل تمزحين يا رغد هل تدافعين عنه

- لا يا ميّار لكنك تبالغين في الامر

....

كانت كل ما تكلمت عن افعاله تنقلب وتدافع عنه وتظهرني انني على خطأ وليومٍ من الأيام كنت ذاهبةً لملاقاته في مكتبه والحديث معه عن بعض الامور الدراسية وقبل الدخول لمكتبه سمعت صوت رغد من الداخل تقول

- خفف من تصرفاتك اللعينة هذه مع ميّار هذه فتاةٌ قوية ونحن لا نستطيع مبارزتها

-ولماذا هل اخبرتك بشيء

- انت توقف عن افعالك النتنة معها وسيكون كل شيء بخير

- انا لا اخشى عليك تستطيعين ان تجذبيها لنا لكننا نحتاج بعض الوقت

-حسناً انا ذاهبة قبل ان تلاحظ غيابي الى اللقاء

تحركت من مكاني لكي لا تراني وبدأت في التفكير ماذا يخططون ولماذا يريدون جذبي ما هي العلاقة التي تربط رغد بهذا اللعين

كان يصادف ذلك الامتحانات الفصلية وانشغلت عن هذا الامر لكنني لم انساه وبعد انتهاء الامتحانات وظهور العلامات كالعادة كنت راسبة في هذه المادة مع العلم انني كنت من المبدعين فيها

لكن العجيب في الامر ان رغد كانت من الناجحين وبمعدلٍ جيد

هنا بدأت شكوكي تزداد ومزامنةً مع هذه الفترة كنت قد التقيت بيعقوب واصبحنا اصدقاء نوعاً ما ذهبت له واخبرته بكل شيء وحذرني حينها منهم رغد و الدكتور طوكيو....

استمرت علاقتي مع رغد وانا ابحث في الامر دون ان تشعر على اي شيء

ولأنني رسبت في المادة قررت الذهاب ومواجهته

- مرحباً ايها الدكتور طوكيو من فضلك اريد معرفة السبب الذي يمنعك من اعطائي علامتي التي استحقها ماذا تريد مني

وقف طوكيو وتجه نحوي واقترب مني وقال اريد الحصول عليك يا ميّار وستحصلين حينها على ما تريدين

ابعدته بيدي وشتمته وخرجت من مكتبه وقبل خروجي قال

- حسناً اذهبي ولا تفكري في النجاح مطلقاً ما دمت حياً

لم ابالي لهذا الكلام فردد قوله وقال

انظري لصديقتك رغد كم هي طالبةٌ ملتزمة بدروسها ونشيطة كوني مثلها يا ميّار

وقفت والتفت نحوه وقلت له

- ما الذي تقصد بكلامك هذا

- لا اقصد شيء اخرجي من مكتبي الان

خرجت وانا افكر بكلماته الاخيرة بخصوص رغد

وانا في طريقي إليها رايتها تقف مع شاب يضع قبعة تغطي ملامح وجهه وتأخذ منه النقود راقبتها عن بعد حتى رايتها تذهب به الى مكتب الدكتور اللعين طوكيو استودعت عنده النقود ومضت

التقيت معها وجلسنا فأخبرتها بما رايته وفي بداية الامر نكرت بعدها قالت لي ان هذه الاموال تودعها عنده خوفاً من السرقة في السكن الجامعي

لم اقتنع لكلامها استمرّيت في البحث حتى تلقيت الصدمة الكبرى

شبكةٌ كبيرة من الفتيات الساقطات تحت قيادة طوكيو ورغد

لم اعرف ماذا افعل حينها

اتصلت برغد واخبرتها انني سأذهب لمقابلة طوكيو من اجل رسوبي في المادة ولم تمانع من الذهاب معي

وفي هذه الاثناء كان يعقوب قد انتقل للعيش بحلب وانقطع الاتصال به

ذهبنا للقائه وفور دخولنا مكتبه اغلقت الباب ووقفت امامهم

- اسمعوني جيداً اود اخباركم باننني اصبحت على معرفة بكل ما تفعلونه وايامٌ قليلة تفصلكم عن المحاكمة

ضحك طوكيو باستهزاء وقال

- محاكمة انت ستحاكمينني هل تظنين نفسك قادرة على فرض العقوبات علي يا فتاة

نظرت الى رغد كانت تبتسم بخبث

طوكيو : حسناً يا ميّار سيكون كل شيء على ما يرام نعم انا اعترف قد شكلت شبكة ورغد والان انت اكتشفت الامر

خرجت من المكتب وكان الشك يراود قلبي ما هذا البرود من كلاهما وبعد مرور اسبوعٍ على ذلك اللقاء طلبني لمكتبه قبل انتهاء الدوام بساعةٍ تقريباً كانت الجامعة شبه خالية لأنه قد انتهى وقت الدوام نوعا ما وصلت للمكتب ولمجرد دخولي تقدم نحو الباب واغلقه بأحكام ارتعش قلبي خوفاً حينها جلست وبدأ يكلمني عن المواد الجامعية وعن نمط الدراسة الذي يجدر بي ان اتبعه للحصول على علامةٍ جيدة

- اسمعي يا ميّار بما انك قد وصلتي لأعلى مراحل المعرفة هذا يعني انك تعلمين من اكون وماذا اكون انت فتاةٌ عنيدة جداً لم ارى منك سوا الكبرياء اللعين الكثير من الطلاب الان اصبحوا بعام التخرج لانهم ايقنوا التعامل معي وكلٌ على مقدرته

فمنهم اعطاني المال ومنهم كان كفيل منزلي ومنهم كانت فتاة ليلي والكثير الكثير ولكن يجدر بك معرفة ان هذا ليس حالي وحدي فالكثيرون مثلي من يعمل على هذه الشاكلة ادفع ترفع هذا كل ما في الامر وإن لم تدفع ستحمل الكثير الكثير

- اتعجب من وقاحتك وبكل جرأة تكلمني بأشد اللهجات نتانةً

- والان الكرة في ملعبك الان انت مخيرة وبعد بضع دقائق مسيرة

ولمجرد نطقه بتلك الحروف امسكت بكوب الماء المملوء ورشقته به

تغيرت ملامح وجهه النتنة واظهر الشيطان الذي يسكن اعماقه انقض علي كفريسةٍ قد ربطت اطرافها ومفترسٍ لا رحمة في قلبه

قاومته بكل ما اتاني الله من قوة واستطعت الافلات من بين يديه كان قد شوه ملابسي فتحت باب المكتب وهربت ولحسن الحظ كنت احمل حينها زي المخبر الخاص بي ارتديته لأستر ما ظهر مني وخرجت وانا ابكي متجهة للمنزل

لم اعلم حينها ماذا يجدر بي ان افعل

رتلت حينها آيات من سورة يوسف

(ولقد همَّت به وهمَّ بها لولا ان رأى برهان ربه كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين * واستبقا الباب وقدت قميصه من دبرٍ وألفيا سيدها لدى الباب قالت ما جزاء من اراد بأهلك سوءًا إلا ان يسجن او عذابٌ أليم * قال هي من راودتني عن نفسي وشهد شاهدٌ من أهلها إن كان قميصه قدَّ من قُبلٍ فصدقت وهو من الكاذبين * وإن كان قميصه قدَّ من دبرٍ فكذبت وهو من الصادقين * فلما رأى قميصه قدَّ من دبرٍ قال إنه من كيدكن إن كيدكن عظيم)

لم تقف عيوني عن البكاء طوال الطريق

- اللهم كما ارسلت شاهداً لبراءة يوسف وعفته اسندني بشهيدٍ يا ارحم الراحمين اللهم انت تعلم انني لا ذنب لي في هذا فاغفر لي يا رب

التزمت في الدعاء والبكاء وصلت للمنزل ودخلت غرفتي بدلت ملابسي ورميت نفسي على الفراش هرباً من الواقع

النوم يا عم هو اكبر حليفٌ لليائسين هو الصديق الصدوق هو المهرب الوحيد هو النجاة من جحيم الواقع والتمتع بنعيم الخيال

اكملت حياتي وانا في عزلةٍ تامة عن المجتمع المحيط بي اهلي واصدقائي وكل شيء حولي تخليت عنه

رهنت وقتي للانتظار فقط انتظر قدري وانا اعلم ومتيقنة تماماً ان هذا الهدوء خلفه عاصفةً لا خير فيها ولا رحمة

وبعد عزلةٍ دامت لأسبوعين او اكثر عدت لدوامي الجامعي وعند وصولي تفاجأت بوجود اسمي بلائحة الكلية بطلبٍ سريع لحضوري عند اللعين طوكيو

ذهبت لمكتبه اللعين الذي اصبح بالنسبة لي مصدر شؤم

ولمجرد وصولي استقبلني بفيديو مصور معروض على حائط الغرفة كان الفيديو يوثق يوم الحادثة بمونتاجٍ ابليسي لا يرحم كنت انا الجاني فيه وهو المجني عليه صوتٌ ليس صوتي وحروفٌ لست بناطقتها

- اخبرتك انك مخيرة وستكونين مسيرة والان ماذا

انت تعلمين جيداً منصات التواصل الاجتماعي ومدى تعطشها لمثل هذه الاخبار وانا بدوري سأقوم بعملي كمدرسٍ محترم قد واجه مثل هذه الكارثة وفي مكتبه

واما عن الشهود فهذه صديقتك لا زالت على قيد الحياة وستتكلم امام القضاء كيف عرضتي عليها هذه الفكرة وهي رفضت لان عفتها لا تسمح لها وقد بادرت بقيام هذا الامر لوحدك

كانت رغد جالسة خلف مكتبه وتشاهد هذا العرض مع ابتسامة شيطانية شريرة لأبعد الحدود

وحينها قد ايقنت انني انتهيت حرفياً

فوالدي وعشيرته التي تعود قوانينها لدستور الجاهلية لن يرحموننني بالتأكيد خرجت من المكتب ولم ابدي اي ردة فعل

عدت للمنزل حينها واغلقت هاتفي وجلست انتظر ما سيحدث

انتظار القدر امرٌ بغاية الصعوبة يا عم ان تنتظر شيء سيحدث معك وانت متيقن من حدوثه هذا امرٌ اشبه بالموت وكنت اعيش هذه الحالة حينها

وبعد بضعة ايام حدث ما كان متوقعٌ تماماً

انقض والدي نحو غرفتي وبدأ تنفيذ حكم الظلم الذي توارثه عن اجداده ايقظني من نومي على صراخٍ وبكاءٍ وصفعةٍ تليها صفعة على الوجه والجسد

- ارجوك يا ابي انا ابنتك وانت تعلم انني لست كذلك فأنا ابنة تربيتك الصالحة وحاشا الله ان اجلب لنفسي بمثل هذه الفاحشة .. امي اخبري ابي انني لست كذلك

-اصمت ايتها العاهرة ..وماذا عن شهود ذلك الطبيب اللعين وعن الكاميرا التي اورثتنا فضيحةً لأخر عمرنا بعد انتشار ذلك الفيديو الذي التقط لك

-ابي ارجوك قد اخبرتك انه هنالك دكتورٌ في جامعتنا يتحرش بي من اجل ترفعي وعندما ابيت عن فعل تلك الفاحشة اكاد لي بهذا

انظر للتسجيل الذي انتشر سترى مقاومتي له ولقذارته

-كلامك الفارغ هذا لن ينجيك من فعلتك ايتها لكاذبة

انسيت صوتي يا ابي ام ان الظلم قد استحوذ على قلبك اسمع الصوت هذا ليس صوتي وليست بلكنتي

- لكنها صورتك

-ابي اقسم لك ان هذا ما حدث وانا لم ارتكب الخطيئة

- وحتى إن كنت كذلك فكيف لي ان اظهر وجهي امام عشائرنا قبل قتلك

موتك حتميٌّ يا ميَّار موتك حتمي ...

وبالفعل اعلن والدي العزيز موعد قصاصي وبحضور كبار عشائرهم وكحال الكثير من القاصرات الذين لقوا حتمهم نتيجة جهلٍ وتخلفٍ عقلي وقلة ثقة وايمان كنت سألقى حتمي

لكن اختار الله لي العيش اكثر على هذه الارض وفي يوم تنفيذ الحكم اللعين وباجتماع العصابة القبائلية استطعت الهروب من المنزل والاتجاه نحو اللا مكان نعم لقد راودني للمرة الاولى شعور الحرية انتزعت القيد من على يداي وسرحت في الكوكب الجميل الذي احله الله لنا

كان اول شخصٍ قد خطر في خاطري حينها يعقوب

نعم لماذا انا حتى نفسي لا ادري لكنني كنت على ثقة بان هذا الفتى سيكون بوسعه حمل هذا الحمل عني ومساعدتي

ولحسن الحظ استطعت تهريب جهازي الخليوي والقليل من المال الذي قررت ايداعه في الكراجات متجهتاً نحو عروس المشرق حلب

فور وصولي حلب واستنشاقي هوائها شعرت انني في امان اتصلت بيعقوب واخبرته انني في حلب وجاء مسرعاً واخذني لهنا لمنزله

- حسناً لا تكملي انا على معرفة بما تبقى هل نسيت ذاك اليوم الذي اتيت به الى هنا وذهب هو للنوم في المسجد

نعم اتذكر وبعد اسبوعٍ من وجودي في حلب سافر يعقوب لمديني ليطمئن على وضع المنطقة هناك

كان قد والدي اصدر مكافئة لمن يأتي له بي

وكنت قد فصلت من الجامعة منذ ذلك الوقت لأسبابٍ اخلاقية ...

-والان ماذا

- الان مثل ما ترى انا اعيش هنا في حلب بعيدةً عن كل شيء يلحق بي الضرر بعيدةً عن شياطين الارض وخلفاء ابا لهب الذين لا زالوا على قيد الحياة الذين توارثوا الحقد والنفاق عن اجدادهم

- انا لا اظن انه هناك من يقتل ابنه او ابنته مهما كان الجرم الذي ارتكبه

- كن على ثقة انه هناك اشخاصٌ قد وهبوا قلوبهم لعاداتٍ وتقاليدٍ نتنة ووضعوا مكان قلوبهم حجارة صلبة شديدة القسوة

- وماذا تعملين الان اقصد كيف تدبرين امورك في وسط هذه الحرب الاقتصادية التي كنا نحن اول من ارادت الحاق الضرر فيهم

والتي استطاع تجار البلد فرض نفوذهم على المواطنين من خلالها

- انا اعمل مدرّسة الان لأستطيع تحصيل قوتي اليومي وكباقي افراد البلد دائماً خزينتي في القسم السالب والديون لا ترحم

- وماذا عن السكن

- قد اقمنا انا وصفا في الدار ذاته ونتقاسم دفع الاجار ومصروف المنزل

سكت مصطفى قليلاً ثم قال لها

- تأخر الوقت متى ستعودون للمنزل

- حالاً كنت انتظر لاطمأن عليك لا اكثر

- فلنذهب لتلقي تحية الوداع على يعقوب وتمضي

- لا ارجوك اتركني من هذه الطقوس انده لصفا فقط رجاءً

توجه مصطفى نحو دار يعقوب واخبر صفا بالخروج

يعقوب: اين هي ميَّار

- هي بالخارج قالت لي انها لا تريد اداء طقوس الوداع

- حسناً انتظروني هنا قليلاً من فضلكم

توجه يعقوب نحو ميّار كان وجهها يعاكس اتجاه قدوم يعقوب كانت شاردة وهي تدندن انغام اغنيةٍ مصرية

استني خليك معاياة دنا سبت كل الي وراية دنا في الجمال شايفك اية ومفيش كدا بالدنيا دي وعليك واللهي طريقة علقتي قلبي في دقيقة انا مش بجاملك دي حقيقة

قاطعها يعقوب بقوله

- لم اعرف من قبل انك تملكين صوت لا بأس فيه

- لا بأس فيه! ومن طلب رأيك ايها لأحمق ولماذا اتيت انت قد اخبرت العجوز ان يندە لصفا هل اصابه الخرف

-لا لم يصبه لكنك لا تحبين طقوس الوداع فجأت انا لإتمامها

- حسناً اذهب ونادي لي صفا

- وماذا عن الايام الجميلة الن نختمها بشيء جميل

تنهدت ميّار وادارت ظهرها وقالت

- سريعة النسيان انا يا يعقوب انده لصفا ارجوك

- بهذه البساطة !

- ولماذا توجه اصابع اللوم نحوي هل رأيتني حملت حقيبة وتوجهت نحو السفر اسال نفسك يا يعقوب انت السؤال ... والجواب عندك

-لست مسافراً غداً يا ميّار ربما سيكون غداً ليلي الاخير في حلب

وربما لا

- ولتكن ليلتك العاشرة ما شأني انا

- ماذا بك يا ميّار لماذا اصبحت ساذجة لهذه الدرجة

- انا.. لا اظن ذلك انا كما انا على ما يرام

حسناً يا ميّار كما تشائين سأنادي لك صفا وانت اعتني بنفسك

ادارت ميّار ظهرها ليعقوب وقالت

- اسأل نفسك يا يعقوب اسال نفسك فقط

كان رد يعقوب صامتاً لكن في قعر هذا الصمت الكثير من الكلمات التي لا سامع لها

تودع يعقوب من صفا فنزلت دموع صفا

- اللعنة عليك يا يعقوب من اين سأعثر على اخٍ مثلك الان

ابتسم وقال لها

اعترض مصطفى لنطق يعقوب وقال

- وهل انت بحاجةٍ لأخٍ وانا موجودٌ هنا الست مثل والدك

- بالطبع يا عم

نظر شهاب لهم وقال

- هذه المشاهد الدرامية سخيفة جداً وانا ماذا عني الان اصبحت شخصاً لا فائدة منه

صفا : انت اصمت

إلى اللقاء يا يعقوب اعتني بنفسك القاهرة جميلةٌ جداً وخصوصاً للبؤساء مثلنا

ابتسم يعقوب

- حسناً بكل تأكيد انت اعتني بنفسك ايضاً واعتني بميَّار

شهاب: انا ذاهبٌ لتوصيلهم للمنزل وسأعود على الفور

-حسناً انا انتظرك اجلب لي معك علبة سجائر

- حسناً

ذهب شهاب وصفا وميّار للمنزل وكان يعقوب ينظر إليهم وكأنها نظرته الاخيرة ابتسم يعقوب عندما رأى الجدال الذي يدور بين شهاب وميّار

فتحسس مصطفى من جانبه وقال

-قويةٌ هذه الفتاة جداً

- ليس بقدر ضعفها يا عم صدقني

- دائماً ما يكون الاقوياء هم اشد الناس ضعفاً

- معك حق وميَّار هي اوضح مثالٌ عن هذا

- هيا لندخل للداخل فعظامي لا تطيق الوقوف كثيراً

دخلا للغرفة وعند جلوسهم قال مصطفى ليعقوب

اخبرني اذاً كيف ستكمل حياتك دون ميَّار

- ولماذا اخترت ميَّار دون الجميع

- لأنك تحبها

نظر يعقوب إلى مصطفى نظرة سخرية محاولاً اخفاء ما داخله من فيضانات وحروب

- انا وميّار هل تمزح

- اسمع يا بني إن المرء يستطيع اخفاء كل شيء يستطيع اخفاء حزنه وهمومه المتراكمة فوق ظهره لكنه لا يستطيع اخفاء الحب

لبرهةٍ يحسب نفسه انه استطاع اخفاء مشاعره عن الحضور لكنه فعلياً ودون ان يدري يعرضها عليهم ولا يخفيها

- ميّار صديقتي ولا شيء اكثر

وفي هذه الاثناء ساد الصمت في المكان وفي داخل يعقوب الف حربٍ تقام لماذا لم يتكلم لماذا اصرَّ ان يستمر في الخوف

فتذكر ما نقل عن الاصمعي عندما قال ...

كنت ماشياً في الطريق فرأيت حجراً محفوراً عليه

أيا معشر العشاق ب لله خبروا...إذا حلَّ عشقٌ بالفتى كيف يصنعُ

فكتب اسفله

يداري هواه ثم يكتم سره .... ويخشع في كل الامور ويخضعُ

ومضا في طريقه فعاد في اليوم التالي ليرى مكتوبٌ ايضاً

وكيف يداري والهوى قاتل الفتى... وفي كل يومٍ قلبه يتقطعُ

ما كان من الاصمعي سوا ان يرد قائلاً

إذ لم يجد صبراً لكتمان سره ... فليس له شيءٌ سوا الموت ينفعُ

عاد الاصمعي في اليوم التالي ليرى رجلاً ملقى اسفل الحجر ميتاً ومكتوب بجانبه

سمعنا واطعنا ثم متنا فبلغوا . سلامي إلى من كان في لوصل يمنعُ

هنيئاً لأرباب النعيم نعيمهم... وللعاشق المسكين ما يتجرعُ

مصطفى: إلى متى ستخفي امرك يا يعقوب

يعقوب : إلى ان يأذن الله

- لكنك تستطيع مواجهتها

- انا لم اجرؤ على مواجهتك انت في هذا الامر

- ولماذا هل انت خائف

- انا اخر من يخاف من هذه الامور

لكن ميّار كانت الداعم الوحيد لعلاقتي ومريم قبل ان تنقطع

- وما الرابط بين هذا الامر واعترافك لها

- الرابط هو انها كانت دائماً ما تعطيني دافعاً للاستمرار مع مريم

وانت تعلم انني تخليت عن مريم لأنها سلكت محور تغيرات لا يليق بي مطلقاً

- اولا تعلم هذا ميّار ايضاً

- تعلم هذا وبشدة لكنني لا املك القوة الكافية لإقامة علاقةٍ جديدة وفي الوقت ذاته انا احب ميّار هكذا كما هي واخاف ان يحدث ما حدث مع مريم

- هذا ليس سببٌ لحرمان قلبك من مراده

- لا اعلم سأكلمها مساءً لعلي اراها غداً قبل الرحيل

- افعل ما يحلو لك اما عني فأنا ذاهبٌ للنوم لاستيقظ مع صلاة الفجر سأطرق الباب عليك ايضاً كن جاهزاً ستقام حلقة ذكرٍ فكن جاهزاً وشهاب ايضاً

-بكل تأكيد سأكون جاهزاً

ذهب مصطفى وتوجه يعقوب لتنظيف المنزل قبل قدوم شهاب واثناء ترتيبه للمنزل عثر على دفترٍ صغير لا يعود له

تعجب منه وضعه على الطاولة واكمل عمله

ميّار : تباً لهذه المواصلات جعلتنا نسلك طريق التنحيف رغماً عن انفسنا

صفا: ها قد اقتربنا من الوصول واظن انه لا داعي للبحث عن مركبة توصلنا انظري لهذا المشهد الجمع فوق الميكرو باص اكثر من الجمع فوق المشاهير

شهاب : ستفرج بأذن الله

تقدمت ميّار خطواتٍ عنهم واخذت وضعية مراسل الاخبار وقالت ولأن وعد الحر كان دين في رقبته

نحن نعدكم بتحسن وضع الوطن والمواطنين سنأمن المواصلات لكافة الشعب ويعم الغذاء في ارجاء البلاد ولن نرى طفلاً متسول ايضاً

قالت لها صفا من باب التحذير

- الجنة ترحب بك يا ميّار

- وانا ايضاً اشتاق لها جداً

شهاب: صدقاً الطريق إلى الجنة اهون من الطريق إلى الجامعة او العمل

صفا: فلتسلكه إذاً

- حتى يشاء الله بذلك

وتبريراً لميّار عن دعابتها بحجة تفاؤله قال

- صدقيني يا ميّار حفنةٌ صغيرة من الرماد الاسود قادرة على تشويه حلةٌ كبيرة من الحليب وهذا وضعنا

نحن نعيش بين كتلةٍ من الفاسدين نعم لكن صدقيني هم القلة فهنالك الكثير من الشرفاء الذين يعملون لتحسين وضع البلاد ولكن اولئك الفاسدون لا يفسحون لهم الطريق

ولكن ما يزيدني ايماناً ان الله لطالما كان نصير الحق وسيكون الله نصيرهم

- اعلم ذلك وعلى صبرنا سننال مرادنا

- اين ذهبت في شرودك يا صفا

- افكر بأمر يعقوب كم هو تعيس الحظ في حياه حتى في الحياة العاطفية قد عانا ما عاناه قد كان اهلاً للصبر مع مريم حتى وصل لمرحلة العجز واستسلم

- امرٌ بغاية الصعوبة ان تتحول صفاتك الحميدة عند محبوبك إلى بغضاء وهذا كان وضع يعقوب حتى بادر وكان قوياً وابتعد

- وهل المرح مع الفتيات اصبح بطولة

كانت كلمات ميار هذه كافية لجعل الاثنين ينظرون إليها بجفاء

شهاب : لأنك تعلمين ان يعقوب ليس من الذين يتبعون هذه الاساليب لن انطق حرفاً واحداً لأنك تملكين مبررات اكثر مني

ابتسمت ميّار لتثبت صحة كلامه

انشغل شهاب في الحديث مع صفا وفي الوقت ذاته كانت ميّار تعود بذاكرتها لحوارٍ دار بينها وبين يعقوب

غريبةٌ هي يا ميّار وفي الوقت ذاته تملك حنكةٌ عجيبة كانت وكل عاقلٍ يشهد انها سبباً لكل مشاكلنا واصبحت انا في الختام من الرجال الذين لا يصونون الحب ولا يوفون بوعدهم ..

انا لست كذلك يا ميّار لكنني واثقٌ وبشدة اننا لن نستمر وان نهاية حبنا هذا الكثير من المشقة لي ولها..

اتعبتني جداً لدرجة انني لم اعد اشتهي الحديث معها وانا الذي كنت اغار من جلوسها مع اصدقائها وذويها انا اعترف انني قد اخترت الرحيل بنفسي لكنها كانت تريد لذلك ان يحدث ولم تملك الجرأة الكافية ان تفعل ما فعلته انا

مثل كرتنا الاولى تماماً عندما اعترفت لها بحبي ايضاً لم تكن تملك الجرأة الكافية للاعتراف لذلك بادرت انا

الفرق ان المبادرة الاولى كنت بطلاً اما عن المبادرة الثانية فكنت في عيونها خائناً لعين هي كانت تريد ان يكون مطافنا نهايته على هذه الشاكلة وخصوصاً ما نطقته من حروفٍ في اواخر كلماتها التي بللتها بسمٍ لعين يجعلني ارى ذات المشهد في كل ليلة

في ايامنا الاخيرة كانت دوماً تتهمني باننني اقتحمت محور التغيرات انا لم اتغير هي كانت تعلم منذ البداية انني ابنٌ لحروفٍ سرمدية لا نهاية لها هي كانت تعلم ان حكمتي من الدنيا تعود لشخصياتٍ تاريخية .للرسول الكريم لصحابته هي كانت تعلم جيداً انني احب افلاطون و استمتع لسماع عبد الحليم وام كلثوم وصباح فخري هي كانت تعلم جيداً انني انام على كلمات الشعراء الكاذبة لكن وفي النهاية ماذا حدث انا لا ادري وليتني ادري لأريح قلبي فقط...

-للخالق حكمةً في كل شيء فكن مطيعاً وتحمد الله في السراء والضراء

- الحمد لله دائماً وابداً .....

صفا: ها قد وصلنا إذاً واخيراً

ميّار: بلغ سلامي ليعقوب يا شهاب ونحن بيننا لقاء اليس كذلك

- بكل تأكيد مع السلامة

الفصل الثاني

هل تذوقتم طعم الجحيم ؟؟

هذه الأهوال فقط ....

انتهى يعقوب وجلس اشعل سيجارته وفتح ذاك الدفتر الصغير ليتأكد لمن تعود ملكيته

الصفحة الاولى

وانا في طريقي للمنزل الذي لم اعد اطيق المكوث فيه اشتريتك ايتها الاوراق لعلك تكونين مصدر امانٍ ومهربٍ من المحيط الذي انا فيه

مات ابي وماتت عاطفة امي معه

امي ليست امي

هي زوجة ذاك الرجل اللعين الذي استمر بالتحرش بي

سنكون اصدقاء ولن تطعني بي كما فعل ذاك اللعين اليس كذلك

لعلها بدايةً جميلة ان ترافقيني حفلة تخرجي من كلية الطب

وان تشهدي انني اصبحت طبيبةً نسائية وبجدارة

رغم كل الظروف المحيطة اثبت وجودي

ستكونين بيت سري الذي لن يراه احد ولن يعرف عنه احد

كيف حالك اليوم

اما عني فكان يوماً طويلاً ومتعباً وخصوصاً بغيابه رغم كرهي له لكنني اشتقت إليه اشتقت لبسمته ولغضبه

اشتقت لغيرته

لعنة الحب لا ترحم يا مذكرتي

كالسم في الدم ولكننا بوجودها نحيا وبابتعادها نموت

ولأنك ملكي فقط سأعترف لك بانني لازلت احبه لكنه ليس لي

قد اختار طريقاً ليس طريقي وعالماً مختلفاً عن عالمي وابتعد

ها نحن اليوم إذاً وبالرغم انك لم تمتلئي سوى ببضع صفحات لكنك اصبحت جزء مني ومهربي الو..

اللعنة عليه اللعنة على اشباهه قد اقتحم الغرفة طالباً وصالي زوج امي اللعين لا يتركني لأعيش بسلام ماذا سأفعل يا مذكرتي

اعتذر عن المقاطعة فقد اوقفني عن الكتابة ذاك الغبي

نعم اصبحت جزء مني ومهربي الوحيد

انا لم اعد اطيق العيش هنا سأخبر امي بكل شيء

اليوم التقيت به ولأول مرة منذ ان افترقنا اقولها وبقوة انني لم اصل إلى نشوة الحب التي كنت اصل اليها في كل مرةٍ اراه

ها انا اقولها وبقوة قد انتصرت على مشاعري

الان قد عدت للمنزل وانا احمل راية النصر في قلبي

واحمل وثيقة التخرج في يميني

ذهبت اليوم لقبر ابي لاحتفل معه كان سعيداً جدا قد لامست قلبي بسمته وهو في قبره انا اشتقت إليه كثيرا

ايامٌ روتينية تمضي منذ تخرجي من الجامعة انا متعبة جداً من كل شيء

فراق ابي كسرني وطعن وريدي ليقتلني ببطيء

إن الفتاة يشتد عودها بابيها ولا احدٌ غيره

الاب بالنسبة للفتاة

هو البطل هو فارس الاحلام هو المغامر لأجلها هو الحزين لأجل سعادتها وهو قطرة المياه التي تروي ظمأها هو السند الاول والاخير هو الحب السرمدي هو القلب الصادق والحب الحقيقي هو كل شيء وغيره لا شيء من ما كان اخ عم خال حبيب زوج صديق كلهم لا يغلبون كفة الميزان التي توضع بها الاب

هو مصدر السعادة الابدي وانا اشتقت لسعادتي كثيراً

اليوم قد وجدت مخرجاً من حياتي المملة

قد وجدت مهرباً من ظلم امي واهمالها ووقاحة زوجها وقذارته اليوم قد ابتدأ الحلم يتوسع اكثر فاكثر اليوم ساخطو الخطوة الاولى التي تنجيني من الذي انا فيه

اليوم وبدون اي معارضةٍ من امي وعلى العكس تماماً ايدت الفكرة بعدما اخبرتها ما يفعله زوجها

اليوم سأنطلق إلى مدينة البؤساء كما وصفها الكتاب

إلى مدينة الحب كما لقبها الشعراء

إلى مدينة السلاطين كما اظهرها ابناؤها

إلى مدينة العلم والمعلمين إلى أم الرياضيات

إلى القاهرة ...

القاهرة جميلةٌ جداً يا مذكرتي جميلةٌ بحزنها وبؤسها جميلةٌ بشعبها الذي لا يختلف كثيراً عن شعب حلب

النيل العظيم والاهرامات

هي بالفعل ام الدنيا

صوت ام كلثومٍ في كل مكان سجائر العجائز التي لا تنطفئ تزين المكان

نسمة النيكوتين التي امتلأت بالصدق قد فاحت

صدقاً انا اشعر بالراحة جداً فلا فرق بين الغربة عن البلاد وبين الغربة عن المجتمع فكلاهما تجمعهما ذات الصفات واهمها الوحدة

ها انا اليوم يا مذكرتي قد واجهت حياةً جديدة

اكمل دراستي للحصول على الماجستير واعمل في مشفى واملك زملاء بغاية الروعة

اتمنى الا تنتهي رحلتي في القاهرة فانا عثرت على ذاتي هنا

ولا اريد الابتعاد عن ذاتي مرةً اخرى

فهنا قد وجدت كل ما احتاجه

الموسيقى الهادئة والصدق ورياح الخوف من الله تطوف على قلبي قادمة من الازهر الشريف

قد مكثت في المشفى الذي اعمل به قد اعطاني غرفة صاحب المشفى

حنون هذا العجوز وكثير اللطف اشكر الله انني عوضني على ما فقدته في الآونة الاخيرة

مضى سنة ونصف وانا اقيم في هذا المكان الجميل

لكن الغريب في الامر ان امي لم تكلمني في هذه المدة سوى مرتين

احقاً هي امي ؟؟

لن اطيل في الكلام اليوم فانا متعبة جداً وليس لدي الوقت على اي حال شكراً لك انت اصبحت اليوم اغلى ما املك

وبالمناسبة قد ادخرت المال الكافي لفتح عيادةٍ مجرد عودتنا إلى حلب

صحيحٌ نسيت ان اخبرك ان نزار اليوم قد اعترف لي بحبه هو شابٌ وسيم وذو شخصيةٍ جذابة لكنني لا اليق به فهو رجلٌ كثير التفاؤل اما عني فلا

اتمنى ان يعثر على فتاة احلامه

مضى وقتٌ طويل على لقائنا الاخير يا اوراقي

لكن اطمئني ستبقي الاصدق بينهم

قد اقترب موعد عودتنا إلى سوريا

احببت هذا المكان لكنني في الوقت ذاته

اشتقت لحلب كثيراً واشتقت لأمي التي لم تطمئن علي حتى وبعد مرور ثلاث سنوات عن لقائنا الاخير

لا تقلقي عودتنا هذه المرة ليس كخروجنا صدقيني سنعود وبقوة ولن نحتاج لأي احد سنعمل لوحدنا ونعيش سويتاً

حروفي الاخيرة من مطار القاهرة سأشتاق لك جداً يا مدينة الحب والبؤس سأشتاق لضجيج الصباح وهدوء المساء سأشتاق لسحرك الذي لن يغادرني ابداً

استودعت عندك الكثير من القصص والكثير من الحب والكثير من الكلمات

والان سأكتب ختاماً

من القاهرة ... هنا صفا .....

وبعد عودتي لحلب يا مذكرتي قد ضاعت شحنتي الايجابية هباءً منثورا ليستوضع مكانها خيبة املٍ لا توصف

بدلاً من انتظار امي لي عند باب المطار صرت اركد باحثتاً عن طيفها قد اختفت عن الوجود دون ان تخبرني

وبعد سؤالي في كل مكان اكتشفت انها قد رحلت وزوجها عن البلدة وقد قطعت اخبارهم منذ ذلك الوقت

وانا الان وحدي ليتني اكملت حياتي في القاهرة فالغربة ذاتها في كل مكان الفرق انني في حلب وهذا وحده كافياً على صمودي في هذه المحن

في المناسبة نزار شخصٌ بغاية لعطف ولا زال يكلمني حتى الان

انا بخير وقد تأقلمت على الوضع من جديد وها انا اليوم وبعد ستة شهور من عودتي للبلد اعمل في عيادتي الخاصة واموري على ما يرام احتاج الى الحب والاهتمام فقط لذلك اقضي اغلب اوقاتي غارقة في بحر الروايات فعذريني عن انشغالي عنك

تصبحين على خير

تباً لكل شيء تباً لأحلامٍ حدودها العقل وإن فارقته يحكم عليها بالإعدام تباً لعمرٍ اضعناه نحو اهدافٍ رسمناها على مياه البحر تباً لقلوبٍ توارثت القسوة تباً للطبقية التي لا ترحم تباً لنفسي على ما فعلته بها تباً لأقلام لعينة زرفت حبرها لإفراغ الحقد الذي امتلئ قلوب حامليها اللعنة على كل ظالمٍ لعنة الله على من الحق بي الضرر

بمختصرٍ سريع

قد تحولت من الطبيبة صفا

إلى المجرمة صفا بعدما سحبت شهادتي مني لانتهاك محارمها كما قيل

قلبٌ اكتهل وعظامٌ اعلنت قصاص نفسها وعقلٌ عاقب نفسه في الحكم الابدي قد استسلمت لقدرٍ لا يحمل المسرة وتعبت جداً لدرجة انني لم اعد اطيقك حتى لا انت ولا هم اشباه البشر الاوغاد

قد تحطمت كلياً وانا اليوم عبارة عن جسدٍ هش ضعيف لا يحمل من القوة ولا مثقال ذرة

اعتزلت التواصل الاجتماعي حتى نزار لم اعد اجيب على اتصالاته التقيت بفتاةٍ غريبة الاطوار بعض الشيء وبقرارٍ مني قررت السكن معها لأنها لا تنتمي لمدينة حلب

نعيش حياةً روتينية وكلانا لا يتكلم كثيراً لكن شخصيتها القوية تشعرني بالأمان بعض الشيء

تملك من الاصدقاء اثنين ولم امانع ان انضم إليهم فعيونهم تقول انهم لا يقلون عني بؤس ووهن تلقوه من هذه الحياة

مساء الخير كيف حالك يا خليلتي

احمد الله انني خرجت من ما كنت عليه وقد قبلت بقضاء الله وقدره اشتقت لك كثيراً واشتقت لذاتي صدقاً اسفة على دموعي التي ازعجت يباس اسطرك ما كان بقصدي

المهم انا الان مع ميّار ونعيش حياةً لا بأس فيها

حتى الان وبعد مرور ثلاث شهور اراها فتاةٌ غامضة لدرجة لا توصف

يعقوب شخصٌ مسالم بعض الشيء نرجسي لدرجةٍ لا توصف يتقن فن اللا مبالاة بشكلٍ كبير واهم ما في الامر انه طبيبٌ نفسي

شهاب شخصٌ متدين ودائماً ما يتكلم عن الصوفية وجماليتها متقربٌ من الله لدرجةٍ لا توصف

اقضي معهم وقتً رائع ولا بأس فيه المهم انهم لا يملكون الوقت لإزعاجي او الحاق الضرر بي اكثر من ذلك

عاشر من تعاشر لا بد من الفراق

مضى وقت طويل ولم اكتب لك شيء لكنني استغل الفرصة بانشغال ميّار باداء فريضة العشاء قبل ان تنتهي ونذهب للعشاء الاخير الذي دعانا إليه يعقوب قبل ان يسافر إلى مدينة احلامي التي ذهبت

إلى القاهرة

.....

اغلق يعقوب المذكرة التي لم تمتلئ بالكثير من الصفحات لكنها امتلأت بالكثير من الاوجاع التي لا طاقة لأنس على وجه الكوكب تحملها وجلس يفكر بحال صفا وهو كان متيقناً ان وراء هذه الشخصية المكتهلة سبباً وها هو الان قد حصل عليه

وبما انه قد حصل عليه فهو الان امام قضيةٍ تجعله يؤجل سفره قليلاً ريثما البحث في قضية صفا الغامضة

قرر انه لا بد من الجلوس مع صفا والتحدث إليها عن كل شيء خوفاً عليها من الحاق الضرر بنفسها والاهم ما في الامر يريد ان يعرف لماذا تحولت من طبيبةٍ نسائيةٍ إلى مجرمة

هل حقاً لهذا القلب الطفولي ان يجرم

وبعد الكثير من التفكير في امر صفا قاطعه عن شروده صوت الجرس

- هذه مجنونة صدقني إنها ليست فتاة طبيعية هل من احدٍ اخبرها انني سبب اندلاع حرب اذار او ما شابه ذلك هل انتهكت ميراثها يا رجل

- من هي

- ومن غيرها ميّار

ابتسم يعقوب وقال

- اخبرني ماذا فعلت

- وما هو الشيء الذي لم تفعله صديقي العزيز اصبحت اضحوكة الحي بسببها وبسبب ثرثرتها التي لا تنتهي

يعقوب ما بك منذ ان دخلت المنزل وانت في عالمٍ اخر هل انت على ما يرام

- نعم نعم لا شيء اكثر من تشويش السفر

- اتمنى ذلك ما هذا الدفتر الذي على الطاولة

-إنه لاحد المرضى قد نساه عندي منذ فترة وغداً سأعيده له

وقف يعقوب واخذ الدفتر متجهاً إلى غرفته وضعه في الدرج وقفل عليه

عاد للمجلس مع شهاب الذي كان يدندن بكلماتٍ سرمدية الهوى والحب

كان ينعي الاندلس بقوله

جادك الغيث إذا الغيث همى يا زمان الوصل في الاندلس

قد مضينا نبذل الخير وما نامت الاعين عند الغلس

إننا مجدٌ وعزٌ إننا عائدون امتي لا تيأسي

يا زماناً هل نسيت المسلم نور هذا الكون رواء الظمأ

اقمراً كنا شموساً انجما ومضينا كي نغيث الامم

ننشر الحب ونمضي قدماً حلل النور بلادي تكتسي ...

اتعلم يا يعقوب اكبر خسارةً للمسلمين هي خسارة الاندلس

- بالتأكيد هي خسارةٌ اجتاحت قلوب المسلمين منذ زمنٍ بعيد ولا زالت تأثر فينا إلى يومنا هذا

- لكن لكل خسارةٍ سبب اليس كذلك

- بالتأكيد ولفقدان الاندلس اسبابٌ عدة على ما اعتقد ولكن برايك ما هي اهمها يا شهاب

-الانحراف عن شريعة الخالق عز وجل وارتكاب المحرمات التي لا ترضي الله ففي ذروة الازدهار انشغل المسلمون عن دينهم في دنياهم حيث انتشر شرب الخمر في البلاد ولم يقام الحد على شاربه ومن جهةٍ اخرى انتشر الغناء والمغنون في كل مكان وكانوا اهل المقام الرفيع لدى الامراء ان ذاك

ويجدر بنا الذكر ايضاً بان موالاة الاعداء الصليبين تزامناً مع التنازع على الملك كان له تأثيرا كبيراً

- تدور الايام والحدث واحد هذا يعني اننا منذ ذلك الوقت قد اتبعنا اللهو والنساء والطعام

- نعم ولو كان غير ذلك لوجدتنا في ربيع قرطبة الان

- اخاف ان ارانا في قاع الكوكب بعد حين اذا استمرينا في ما نحن عليه

- لا تخف نحن خلقنا مسلمين لنكون في القمم انسيت اننا اتباع محمداً النبي

- صلوات ربي عليه

- اللهم لا تبعدنا بعدما جعلتنا من المقربين واغفر انا ما مضى وتقبل منا ما اتى إنك انت السميع العليم

- شهاب اخبرني ما هو الذي قد مضى

- ما قد مضى قد ستره الله وتريدني ان اجهر به

- الامر يعود لك انا سأحضر القهوة اتريد ؟

- نعم إن لم تمانع

ذهب يعقوب لتعتاد القهوة بينما جلس شهاب زاهداً من لدنيا

وهو يفكر بماضيه الذي لم يخلوا من العثرات

- تفضل اشرب القهوة

- ما هي مخططاتك لغداً

- لازلت املك بعض الامور التي يجب علي ان انهيها غداً

-وماذا عن ميّار؟؟

- ماذا تقصد

- لا شيء اقصد انك لن تراها مجدداً!

- لا اظن ذلك على اي حال ليس من الضروري ان اراها مجدداً

- اتهرب من نفسك يا يعقوب ام تهرب مني

- لا يهم مِمَّن يكون الهروب يا شهاب المهم انني سأهرب

ولعلَّ في هروبي هذا اجد نفسي حيثما سأهرب

- اتقصد مثلما وجدت نفسي انا

نظر يعقوب إلى شهاب موحي لهو بعدم فهم ما يقصده

وقف شهاب اشعل سيجارته ووقف بجانب النافذة

- اتعلم لماذا نعشق الشتاء لأنه يعطينا البرد لنصبر ومن ثم يعطينا الزرع لننال وهذا ما حدث معي حرفياً يا يعقوب

قد ابتلاني الله بشيءٍ من البلاء لكنه الحقه بنعمٍ لا تزول

سأخبرك سراً يا يعقوب انت التقيت بشهابٍ ولم تلتقي بـ عابد

- عابد؟؟ ومن يكون هذا

- هذا كان شهاب قبل ان يصبح شهاب

- وكيف حدث ذلك

- اطلب منك ان تسمعني فقط ولا تقاطعني ابداً قم واعطي الراديو حريته لان امامنا حديثٌ طويل

اتجه يعقوب نحو الراديو واشعله فكان لأم كلثوم حضورً متألق كعادتها تألقت واطربت الوجود

اسمعني جيداً يا يعقوب انت تعرف شهاب الذي التقى فيك في السنوات الجامعية والتي استمرت صداقتكم إلى الان صحيح

- تعم بالتأكيد

- اما الان سنتكلم عن شخصٍ اخر فاطلب منك السماع فقط واياك واعتراض الحديث

- حسناً انا موافق

كان يعقوب متشوقاً لسماع قصة شهاب التي لا يعلم منها سوى القليل

شهاب: انت تعلم انني فقدت عائلتي وان الله قد جمعني بأكثر البشر سوءً لكنك لا تعلم اكثر من ذلك

انا يا يعقوب كنت شخصاً روتينياً نوعاً ما كأي شخصٍ على هذا الكوكب لم يواجه اي عثرة في طريقه ولم يكسب شيء يجعله افضل من ما هو عليه تستطيع القول انني كنت شخصاً امشي مع القطيع البشري الذي لا يهدف سوى لتأمين احتياجاته اليومية كنت ان ذاك اعيش حياةً كريمةً مع عائلتي والدي القارئ الذي لم يترك كتاباً إلا وقد قرأه واخي كذلك وامي المدرّسة التي كانت تعطي الدروس لمادة الكيمياء

وكنت انا الشخص الوحيد في المنزل الذي لم يسلك طريق العلم هذه كانت رغبتي ان اتوجه لسوق العمل ولم يعارض ابي هذا مطلقاً

في احدى الايام اخبرني والِدي انهم يريدون السفر إلى دمشق وسيذهب اخي معهم اما عني فخترت ان ابقى في المنزل السبب الاول ان رب العمل لا يوافق والسبب الثاني لا اريد ان افوت فرصتي بجلسةٍ مع اصدقائي الذي كان حالهم لا يختلف عن حالي كثيراً لا وبل كانوا اسوأ مني اخلاقاً وادباً

سافر والِدي واخي وانا استحوذت على الفرصة ودعوة اصدقائي للمنزل قضينا الليل سهراً وكانت اول خطوات الفسق التي خطيتها هي سجائر الحشيش

عابد: مهلاً يا شباب انا لا اود ان اخاطر بنفسي واشرب هذه السيجارة

حسن : لا تخف ولا تكن جباناً جربها ستنتقل إلى عالمٍ اخر صدقني وتذكر ان الفرصة هذه لن تأتي كل يوم جربها فقط وانا لا اطلب منك ان تدمن انا اطلب منك ان تستمتع بالتجربة فقط

حسن هو احد الشباب ابنٌ لشيخ يعطي دروسٍ دينية في احد الجوامع ويعظ على تربية الاولاد وخاصةً فأت الشباب

وكانت علاقتي معه اشد قوةً من باقي الشباب الذين كانوا معنا

مضى الليل واستيقظت صباحاً إثر كابوساً لم أرى مثله ابداً

وفجعت بخبر وفاة والِدي واخي في طريق السفر كان خبرٌ شديد القسوة على القلب والعقل

استلمنا جثمانهم انا وذوينا واقمنا عزاءٌ على اكمل وجه ومضت الايام ومضت ذكراهم ايضاً طردني حينها صاحب العمل لأنني تغيبت وجلست في المنزل لمدة تراوحت بين الشهر والشهر ونصف حتى جاء حسن

-ما بك يا عابد إلى متى ستستمر على هذا الحال ارح نفسك وانظر حولك في اي مكبٍ انت تعيش

نظرت حولي كان محقاً فانا احتاج للخروج والبحث عن عمل فلم اعد املك المال لإطعام نفسي وماتت اخبار اقربائي بعد موت عائلتي نظرت إلى حسن وقلت له

الديك سيجارةً اخرى من تلك السجائر

نظر لي وابتسم قائلاً

نعم يا عابد سأعطيك واحدةً لتريح عقلك قليلاً

اخذت منه سيجارة الحشيش وشربتها واصبحت في عالمٍ اخر

اصبحت زيارات حسن لي كثيرة بحكم ان المنزل لا يسكنه احد غيري وفي كل مرة يأتي ومعه القليل منها

عابد: حسن انا سئمت حالي اريد الخروج من المنزل اريد العمل حياتي مقرفة يا رجل

حسن: وماذا تحتاج اكثر من ذلك اجلب لك السجائر والطعام الا يكفيك هذا

- لا يا حسن فانا اريد شراء بعض الاشياء للمنزل

-حسناً يا عابد لدي عملٌ لك مريحٌ جداً وبمكانٍ يحلم كل شاب الدخول إليه

- موافق أيّاً يكن العمل انا جاهز

- انتظر قليلا لتعلم ما هو

- حسناً اخبرني عن بيئة العمل

- العمل يبدأ من العاشرة مساءً حتى الثامنة صباحاً في احد الملاهي الليلية وستأخذ اجراً يضاهي اجر الطبيب في المشافي الحكومية

وافقت على العمل الذي عرضه علي حسن

واصبحت اداوم بشكلٍ يومي هناك في اشد الاماكن قذارةً ونتانةً وكنت في غاية المتعة لدرجة انني كنت اتمنى ان لا يمضي الليل ابداً

تحولت لشخصاً اخر لم تعد سجائر الحشيش تشبع قذارتي اصبحت صديقاً لكأس الفودكا ونديم فاتنات الليل اصحاب الجمال المزيف اللعين

وليومٍ من الايام عرض حسن علي مشروعٍ شيطانياً جديد

ان نجعل منزلي ساحة للفتيات الليل وانا وافقت

اصبح المنزل ليلاً كباصات النقل الداخلي لا يخلو من الزحام واشخاصٌ تدخل واخرى تخرج وذات مرةً وانا في الملهى اقدم طلبات احدى الطاولات اجتمعت مع شخصاً تظهر عليه علامات النفوذ كان يمازحني جداً وكنت ارد له المزاح ودعاني اكثر من مرة للجلوس على طاولته

طوكيو: منذ متى وانت تعمل هنا يا عابد

- منذ ان مات والِدي

- كل الشكر لرحيلهما فلولا هذا لما كنا التقينا بك على اية حال خذ هذا رقمي إن احتجتني ستراني بجانبك

-انتظر أنتظر قبل ان تكمل ماذا قلت لي اسمه

- طوكيو؟؟ أتعرفه

- لا مطلقاً اكمل

-نعم وبعد مدةٍ لا تزيد عن اسبوع اتصل بي حسن

حسن: عابد تعال للمنزل بسرعة هنالك شيء حصل ويجب ان تكون موجود

خرجت من الملهى متجهاً للمنزل ولمجرد وصولي

رأيت الشرطة قد نظمت كميناً لي وقد هاجمت المنزل

سحبت للسجن بعدما اكدت كل الوقائع والشهود انني انا الجاني الوحيد في هذا الامر وخصوصاً بعد شهادة حسن ضدي هي من اودتني السجن

لمجرد دخولي السجن تذكرت طوكيو نعم هو ملاكي الحارس في هذه المصيبة اتصلت به

- من المتكلم

- انا عابد يا طوكيو الم تعرفني

- ومن عابد

- عابد الفتى الذي يعمل في الملهى الليلي

- نعم نعم تذكرت لا تؤاخذني انت تعلم هنالك اختلاف كبير بين الصباح والمساء

- سيد طوكيو انا بحاجتك قد وقعت بمأزقٍ وما من احدٍ غيرك ينجيني منه

- اخبرني ماذا حدث

اخبرت طوكيو بما جرى معي من البداية حتى النهاية

- اللعنة عليك يا عابد لوانك كنت دعوتني للمنزل لما حدث كل هذا

- ارجوك سيدي ماذا سأفعل الان لا اريد قضاء المزيد من الوقت في السجن

- حسناً انا الان لست في حلب وعند عودتي ستكون انت وجهتي الاولى اطمئن

- وكم ستغيب عن حلب سيدي

- غداً او بعد غد سأكون في حلب

- انا في انتظارك بفارغ الصبر يا سيدي وداعاً

اغلقت الخط وجلست انتظر طوكيو وقد طمئن قلبي لأنني متأكد من انه يستطيع فعل كل شيء

مضى اليوم الاول والثاني وانا متلهفٌ لرؤيته لأنه هو المخلّص الوحيد لي من هذا المأزق

السجان : عابد زيارة

ها قد فرجت وقد اتى طوكيو رسمت ابتسامة النصر على وجهي قبل رؤيته حتى

ولمجرد وصولي لمكان الزيارات صدمت جداً الصدمة كانت انه ليس طوكيو من زارني الصدمة هي ان الشيخ والد حسن هو الزائر

عابد : ماذا تريد لماذا اتيت إلى هنا

- اسمع يا فتى هنالك كلمتين لا ثالث لهما إن كنت تريد النجاة والاستمتاع ببضع سنين في السجن لا اكثر اياك والتفوه باسم ابني حسن وإن كنت تريد قضاء حياةً رائعة هنا اخبرهم من كان سبب تحول بيتك لبيتٍ ليلي

- هذا يعني انك على علمٌ بكل شيء يفعله ابنك

- هذا ليس من شأنك انا قد خيرتك وعليك الاختيار

- اللعنة على اجيالٍ ستأخذ العلم والحكمة من بين شفتيك

- لا تطل الحديث ها انا قد اخبرتك وانت عليك الاختيار

ذهب الشيخ اللعين وتركني حائراً في امري ماذا سأفعل وبينما انا شاردٌ طبطبت يدان على كتفي

طوكيو: ما بالك يا رجل لماذا انت مستاءٌ لهذا الحد

- ارجوك يا سيدي انقذني من ما انا فيه

اخبرته بما حدث قبل مجيئه بقليل والغريب في الامر انه لم يبالي لهذا الحديث ابداً

- لا يهمني هذا الحديث مطلقاً إن اردت اجلب لك اياه ووالده إلى هنا مكانك

- لا لا اريد شيء اريد الخروج من هنا فقط لا اكثر

- نعم ولهذا انا هنا الان سأعرض عليك اتفاقاً بيني وبينك

- ما هو

- ان تعمل لصالحي لمجرد خروجك من هنا

- نعم انا جاهز

- الا تريد معرفة العمل

- المهم لصالحك لا اريد اكثر من ذلك

- حسناً حضر نفسك قد اقترب موعد خروجك من هنا

وبعد يومين من جلستي مع طوكيو جاء اخلاء سبيلي من السجن ولمجرد خروجي رأيته ينتظرني خارجاً

- شكراً لك يا سيدي انا لا اعلم كيف لي ان ارد لك هذا الجميل

- سترده يا عابد انا متأكد اركب في السيارة الان وسنتكلم عن كل شيء

ركبت في السيارة ومضينا نمشي ومضت ثلاثون دقيقة بصمتٍ تام من كلانا غلبني النعاس حينها إثر نومة السجن المليئة بالراحة النفسية وعندما استيقظت وجدت نفسي في السيارة ذاتها لكن الشوارع لا توحي بانها حلب هذه ليست مدينتي بالفعل

- اين نحن وماذا اتى بنا إلى هنا

كان طوكيو يستمع للموسيقا ويدخن قال لي صباح الخير

- ارجوك سيد طوكيو اخبرني اين نحن

- الم نتفق ان نعمل معاً مقابل خروجك من السجن

- نعم ولكن اين نحن الان ولماذا لم تخبرني اننا سنسافر

- هذا ليس من شأنك المهم لنذهب اولاً لتناول الطعام الان وسنتكلم في كل شيء

- حسناً

توجهنا نحو افخم المطاعم واكثرها جمالاً

- ها نحن هنا ماذا تريد ان تعرف حتى اخبرك به

- ما هو العمل الذي سيكون بيني وبينك

- عملك بشكلٍ بدائي سيكون عبارةً عن تسليم واستلام لا اكثر

-ما هو الشيء الذي سأستلمه واسلمه

- المخدر بكافة انواعه

نظرت إليه بصدمةٍ كبيرة فاشعل سيجارته وقال لي

- نحن بيننا اتفاق يا عابد وقد كنت سأخبرك عن طبيعة العمل قبل خروجك لكنك رفضت كنت تريد الخروج وحسب

- حسناً انا موافق اخبرني عن طبيعة العمل اكثر ومتى سأبدأ

اخبرني طوكيو عن طبيعة العمل وبدأت في العمل من اسبوعي الاول بعد خروجي من السجن

كان عبارةً عن نقل المخدر من مدينة إلى اخرى بمرافقةٍ قوية

استمر عملي على هذا النحو لمدة سنة ونصف تقريباً وكانت علاقتي مع طوكيو تزداد قوةً ومتانةً

ومع مرور الوقت اكتشفت انه يدرّس في احدى الجامعات

وانه يستغل منصبه لابتزاز اكبر عدد من الفتيات في ذلك الوقت كان هذا الامر جميل بالنسبة لي فعرض علي ان اعمل معه ايضاً في مشروعه الثاني الذي اكتشفته وهو تشكيل اكبر شبكة فتيات ليل وخصوصاً في السكن الجامعي لكل مدينة اقوم باستيداع عندها المخدر

- حسناً يا عابد انت الان اصبحت يدي اليمنى واريد ان اعتمد عليك في كل شيء

- تحت امرك سأكون اطلب مني وستراني جاهز دائماً

- نريد جلب اكبر عددٍ من الفتيات وباي طريقةٍ كانت

- وما هو المطلوب مني بالضبط

- بالنسبة للجامعة لدينا اياديٍ خفية تساعدني على هذا الامر

لكنني اريد الاستعانة بمواقع التواصل الاجتماعي ربما ستفي بالغرض

- اتقصد انك تريدني استجرار الفتيات للعمل معنا عبر مواقع التواصل الاجتماعي

- الفقر داهم قلوب المجتمع يا عابد وهذه فرصتنا لننقض غلى هذه الطبقة من البشر فهم جياعٌ ومالنا من سيشبعهم

- لكن المال ليس كل شيء يا سيد طوكيو سنواجه الكثير من الصعوبات

- انت الان تتكلم هذا انسيت ذاك اليوم الذي سحبتك من قاع السجن كيف كان حالك

- لا لم انسى انت محق

- حسناً باشر في العمل من اليوم واذا اضطر الامر استعن ببعض الشباب دون وضعهم في صورةٍ كاملة عن ما نقوم بالتخطيط له

- لا تقلق سأتصرف وسيكون كل شيء كما تريد

كان العمل سهلاً جدا وكان هذا المشروع اشدهم سهولةً والسبب هو غفلة الاهل عن بناتهنَّ

الفتيات في جحيم المراهقة والاهل في غفلةٍ شاردون

اصبح لدي مواقع عدة وعلى اكثر من منصةٍ وتفرعت الكترونياً في كل مكان وداهمت كل البيوت ان ذاك دون ان يدرون اصحابها

نجحت في احضار الكثير من الفتيات إلى صف طوكيو وهم بدورهم لم يبدون اي خوف او مشكلة او ندمٍ حتى لا على العكس تماماً هم حتى الان في غفلةٍ عن ما يعملون

وليومٍ من الايام اتصل بي طوكيو

- اين انت يا عابد تعال انا انتظرك في مقهى ***

توجهت فوراً لان اتصاله يعني انه في مازق كبير فقد كان بيننا لقاءٌ اسبوعي واحد فقط

وصلت ورأيته جالساً وخائفاً وانا لأول مرةً اشهده على هذا الحال

عابد: ما بك يا طوكيو هدء من روعك يا رجل

- هنالك فتاةٌ لعينة تخالف اوامري ولا تفعل ما اطلبه منها

-اين تكون هذه الفتاة

- طالبة في الجامعة قد حاولت تأديبها بحرمانها من التقديم لأكثر من مرة لكنها لم تتأدب بعد

- وماذا فعلت انت الان

- منذ فترة شهرٍ قد اكتشفت امرنا انا والمجموعة التي تعمل معي

جاءت تهددنا واليوم قمت بمحاولة الاعتداء عليها

- هل انت مجنون وماذا ستفعل الان

- لو كنت ادري لما كنت اتصلت بك

- ماذا كنت ستفعل لو تم الاعتداء كما اردت ان يحدث

- كان هنالك كاميرا تصور كل شيء كنت سأهددها بالفيديو

- وهل هذا التسجيل لا زال موجود

- نعم لكن وما الغرض منه

- هل يظهر وجهها بالتسجيل

-يظهر بعض الشيء

- حسناً سأعطيك رقم شابٍ يستطيع نقل برج ايفل من فرنسا إلى سوريا دون ان تدري

- وما الغرض منه

- سيقوم بإضافة بعض التعديلات للفيديو مع القليل من الاصوات المزيفة وسيكون الامر كما تريد وستكون انت المنتصر

وسيكون عنوان الفيديو على مواقع التواصل

(فتاة تقوم بعرض نفسها على دكتورها في الجامعة من اجل الحصول على ترفع)

طوكيو : شيطانٌ لعين انت يا عابد شيطانٌ لعين

- بعض ما عندكم يا مولانا

اعطيته رقم الشاب وتكلم معه وتم الامر بسلام واكتملت الاحداث كما اردنا ان تكون ..

يعقوب وهو يحتسي القهوة : في اي جامعةٍ حدثت هذه القصة

شهاب : في الجامعة ذاتها التي التقينا بها انا وانت

تفتحت عينان يعقوب ونظر بصدمةٍ ووقع فنجان القهوة من يده

شهاب : ما بك يا يعقوب ماذا حدث لك هل انت بخير

- نعم نعم ارهاقٌ لا اكثر اخبرني وهل هذه الفتاة تعرف عابد او عابد يعرفها

- لا لم يلتقي بها ابداً ولم ارى صورتها مطلقاً

حمد الله بسره وكتم

- لماذا تسأل

- لا شيء مجرد فضولٍ لا اكثر هيا اكمل لي ما حدث

مضت قصة هذه الفتاة على خير واكملنا عملنا وليومٍ من الايام رأيت فتاةً عبر مواقع التواصل الاجتماعي تطلب عملاً

ذهبت وكلمتها فوراً كانت تدعى ياسمين وتحمل صفاة اسمها حرفياً

بدأت حديثي معها وكأي فتاةٍ رفضت الحديث معي في البداية

وبعد الكثير من المحاولات مني وافقت بشرطٍ ان تكون علاقتنا مبنيةٌ على الصداقة والاخوة لا اكثر وقد قبلت هذا لأجل وصولي لما اريد

زاد تواصلي مع هذه الفتاة وكلما حاولت مراوغتها من اجل ما اريد رأيتها تراودني بما يريده الله ان يحدث وبما يرضي الله تحدثني عن الاسلام الحقيقي عن الدين كانت دائماً ما تكلمني من نواة الاسلام ومن وسطها وبالرغم من انني لم اراها ابداً لكن كانت تلعب دور الشحنة الايجابية للذرة التي جمعتنا وكنت انا الالكترونات التي تحوم حولها استطاعت هذه الفتاة التأثير بي بشكلٍ كبير فأول شيء قد بدأت به هو الصلاة وكان هذا الامر يزيد خوف طوكيو اللعين لكنه دائماً ما كان يقول لي

يليق بك قناع الدين والتقوى استمر في النفاق فانت مبدعٌ في هذا

كان يظنني انني ارتديت هذا القناع لتحسين صورتي لم يعلم ان هذا القناع قد ارتداني ولست انا من ارتديته انفطر قلبي له وجرني غصباً عني نحو الهداية والتوبة كانت تعطيني اسماء كتبٍ اسلاميةٍ ومراجع تاريخية تنظف عقلي من الداخل وتطهر قلبي من الرجس الذي اصابه

اصبح وضعي الصحي افضل بكثير بعدما ابتعدت عن المخدر وبعدما امسكت كاس اللبن عوضاً عن كاس النبيذ وعندما امسكت السواك عوضاً عن سجائر الحشيش

وهنا بدأت دموع شهاب تزرف على خديه كالأطفال

تحولت من شخصٍ إلى اخر على الرغم من استمراري في العمل مع طوكيو لكنني لم اعد اعمل بالكفاءة المطلوبة

ارسل لي دعوة فذهبت له حيث كان ينتظرني

طوكيو: ما بك يا عابد لماذا اصبحت على هذا الحال لماذا لم تعد تعمل بالكفاءة المطلوبة منك

- عذراً منك يا سيدي فقد هداني الله وانا اعمل معك من اجل العقد الذي بيننا منذ زمن ولا اريد اجر عملي ابداً

ضحك طوكيو بسخرية وقال

ومثلكم تقبل توبته عند الله

- قال تعالى (يهدي الله لنوره من يشاء) صدق الله العظيم

نظر الي طوكيو نظرة خوفٍ لا اعلم إن كانت خوفاً من الله ام خوفاً من الحاقي الضرر به بعد ابتعادي عنه

طوكيو : لا اعلم ماذا سأقول لك لكنني لن اجبرك على اكمال عملك معي يا عابد اذهب للطريق الذي اخترته لكن كن واثقاً لن تنجو بحياتك سالماً إذا حاولت الحاق الضرر بي

- اشكرك وادعوا الله ان يهديك كما هداني انا اريد الالتفات إلى ديني ولا شيء اكثر

- يمكنك الانصراف الان

خرجت من مجلس طوكيو متوجهاً للمسجد لصلاة ركعتين شكر لله عز وجل انه حررني من قيود طوكيو

كنت اشعر حينها بان القيود التي وضعت على عنقي قد فكت وقد اصبحت حراً

تخيل يا يعقوب يتهم العالم الاسلام بالتشدد وانا حصلت على حريتي عندما عدت لخالقي ولرشدي

كانت علاقتي تزداد قوةً مع ياسمين وكنت احدثها بشكلٍ يومي تقريباً هي من اصرت علي ان اكمل دراستي

اكملت دراستي وحصلت على الشهادة الاعدادية ومن ثم الثانوية حتى وصلت للجامعة التي التقينا بها انا وانت وقد كنت ان ذاك قد بدلت اسمي من عابد إلى شهاب لأنني قد ولدت من جديد

وبفضل الله ورعايته وبفضل تلك الفتاة تحولت من تاجر مخدرات إلى متقرب من الله متصوفٌ صافي القلب لحبه وزاهداً من الدنيا للقاء ربه ، اتبعت الطريق الصحيح الذي اختاره لي الله وزاد تقربي من الله تعالى عندما تقربت من الصوفية واتبعت مولوية جلال الدين الرومي رحمه الله لأنها اشتهرت بتسامحها وصفاء قلوبها ومحبتهم وتقربهم من الله تعالى

وإن طال حديثنا يا يعقوب لكنني سأكلمك عن هذه الطريقة الجميلة

- على العكس تماماً يا شهاب انا بأشد حالات التركيز مع حروفك

لكن اخبرني ماذا حلَّ بياسمين

- ياسمين قالت لي ان مهمتها قد انتهت وان عليها الرحيل وانا لم امانع شكرتها جزيل الشكر وذهبت فحقاً لم تخلق مشاعر حب اتجاهها ربما كانت اكثر من ذلك فالإنسان لم يخلق بمشاعر حبٍ فقط لا على العكس تماماً كانت مشاعري اتجاه هذه الفتاة مشاعرة راحةٍ وطمأنينة وامان ولا شيء اكثر

ذهبت وتركتني في مسيرتي بالبحث والتحري عن المعتقدات الاسلامية المنشورة لدرجةٍ كبيرة فهنالك الكثير من المعتقدات المنشورة والتي يرفضها اي عقلٍ بشري كالاستغاثة بأحد رجال الله عوضاً من الاستغاثة بخالقه وتقديم القرابين على قبورهم واشياءٌ كهذه واهمها التظاهر بالخشوع رياءً للحاضرين

ولأنني لم اؤمن بهذه المعتقدات قررت البحث عن مصادرها

- ماهي المولوية يا شهاب

وكان القصد من سؤال يعقوب ابعاده كلياً عن ذاكرته القديمة وخلق اجواءٍ جديدة وحديثٍ جديد لأنه يعلم ان شهاب سيبحر في هذا السؤال

-اشتهرت المولوية بما يعرف بالرقص الدائري حيث يدور الراقصون ويندمجون بمشاعر روحية تنتقل بهم إلى اعلى مراتب الصفاء الروحي ويلقب المريدون اتباعها في الدراويش وقد عرف انه في جلسات المولوية تقام حلقات ذكرٍ وقد تبدأ هذه الحلقات بآيات من القرآن الكريم ثم الابتهالات والادعية ومن ثم يقال فأعلم انه لا إله لألا الله ويتم تكرار جملة التوحيد حتى يخشع القلب لذكر الله عز وجل

وبعدما دخلت إلى الجامعة تعرفت على شخصٍ يدعى يعقوب وهو يسمعني الان ومصدومٌ من قصتي

- الم ترى طوكيو ايام الجامعة

- نعم كنت اراه دائماً لكنه لم يجمعنا اي حديث

- جيد جداً والان ات بعيدٌ عنه

- ها قد اصبحت على علمٍ بالماضي كله يا يعقوب

- المهم انك قد نجوت من هذه الحفرة يا عابد

- شهاب من فضلك

- حسناً كما تريد يا شهاب والان قم للنوم لأننا سنذهب لصلاة الفجر باكراً

ذهب شهاب للنوم بينما جلس يعقوب يفكر ماذا يجب عليه ان يفعل

فهو اما شبكةٍ ثلاثية المحور ثلاث قضايا واهمها الخيط المشترك بين ميار وشهاب

هل من المنطق ان يسافر ويترك هذه الفوضة العارمة في حياة الثلاث

هل من المنطق ان يكون لوسيفر الاخرس عن قضية طوكيو

هل من المنطق ان يترك هذا الشخص يتكاثر اكثر

هل من المنطق اغماض العين عن حقيقة تدهور ميار وسلبها مقومات الحياة الاجتماعية البسيطة

هل من المنطق تجاوز الضحية شهاب والمضي وكان شيء لم يكن

وبعد الكثير من التفكير اللا منتهي قرر يعقوب النوم فهنالك يومٌ شاق بانتظاره برفقة صفا

ارسل رسالةً نصية لصفا

- مساء الخير يا صفا اعتذر عن رسالتي في وقتٍ متأخر انا انتظرك غداً امام جامعة حلب اريد التحدث معك بأمر مهم واريد اعطائك غرضاً ما قد وقع منك في منزلي

- مساء الخير يا يعقوب حسناً سأكون هنالك عند الثانية ظهراً بحفظ الله ورعايته.

الله اكبر الله اكبر اشهد ان لا إله إلا الله اشهد ان محمداً رسول الله حي على الصلاة حي على الصلاة حي على الفلاح حي على الفلاح الله اكبر الله اكبر لا إله الا الله

نادى المؤذن لصلاة الفجر واستيقظ يعقوب على ندائه توجه لأيقاظ شهاب فرءاه في انتظاره

- صباح الخير يا شهاب

- صباح الخير هيا بنا كي لا نتأخر على اقامة الصلاة

اتجها نحو منزل مصطفى وذهبا معاً لأداء فريضة الفجر

الذي اخذهم إلى احد الجوامع التي كان يقام فيها حلقات ذكرٍ لله تعالى وللحبيب المصطفى

وبعدما انتهوا من صلاة الفجر خرجوا من المسجد متجهين إلى المنزل في صمتٍ تام حفاظاً على الروحانية التي لامست قلوبهم بذكر الله وعلى عقولهم الخاشعة لذكر الله

وصلا للمنزل فما كان من شهاب سوى ان يذهب للنوم مرةً اخرى اما عن يعقوب فقد لبى دعوة مصطفى لاحتساء القهوة

- يجدر بي ان ادعوك انا انسيت قبل امس من كان الداعي

-لا فرق بيننا انت كابني الذي لم يأت الى الحياة اليس كذلك

- بالتأكيد هذا صحيح يا عم

ذهب مصطفى ليعد القهوة بينما كان يعقوب يفكر بقصة صفا ويريد من الساعات ان تمضي بأسرع ما يمكن

ورغم كل ما يدور في راسه كانت ميّار في الصدارة وكان التفكير بها شيء رئيسي يومياً وزاد تفكيره عندما سمع قصة شهاب التي زادته صدمةً اكثر

جاء مصطفى وكان يحمل القهوة وقد زاد الجلوس في وقت السحّر جمالاً ونقاءً الصوت الذي كان يخرج من جواله ..

يا غصين البان حرت في امري .. إنني ولهان أه لو تدري امان آمان

زادت الاشجان في الهوا العذري .. وانا حيران كاتم السرِ

- كلمات الحانك هذه دائماً ما تلامس قلبي يا عم

- ليست الكلمات التي تلامس قلبك ي بل الاشخاص الذين استطاعت وضعك في المقام الذي يلقيه المغني

- ربما انت محق

- الم تكلمها بعد ؟

- ولن اكلمها يا عم فانا الان امام امورٍ اهم واعمق من امري هذا

- اخبرني لعلّي اشور عليك بنصيحةٍ تخرجك مما انت فيه

- المشكلة ان هذه الامور بشكلٍ شخصي لا ناقة لي فيها ولا جمل ولكن ...

- ولكن ماذا تكلم

كان يعقوب بحاجة شخصٍ يساعده بحل تلك العقد التي ارتطمت بحياته مؤخراً اخبر مصطفى بكل شيء بقضية شهاب وميار وبأوراق صفا التي عثر عليها

- حسناً نستطيع ان نقول بان خروجك من البلاد قد يحتمل المزيد من التأخير الان اليس كذلك

- إن اضطر الامر لا مانع لدي بالطبع حتى لو اضطررت على إلغاء فكرة السفر مطلقاً

- لا لن تلغيها فالأيام القادمة لن تمر مرور الكرام ولربما سنضطر جميعاً للخروج معك

- ماذا تقصد

- اذهب انت لمقابلة صفا كما وعدتها وفي المساء سأخبرك بكل شيء لكن احذر على ان تصغي لحديث صفا وان تنقل لي كل ما ستقوله لك واتمنى ان اخطأ الظن هذه المرة

- وماذا تظن

- لا عليك اذهب الان وبلغني بكل شيء فور قدومك

دخل إلى المنزل وجلس خلف مكتبه ويفكر في داخله عمّا حدث معه في هذه الليلة

أيعقل ل اثني عشر ساعة ان تكشف امور كهذه لغز صفا الذي يبعده عن كشفه بضع ساعات فقط وماضي شهاب او عابد إن صح الكلام وما هو ظن مصطفى الذي لم يتكلم به وماذا كان يقصد عندما قال سنخرج جميعاً

واثناء تفكيره احتل النوم عقله وخانته عيونه

ليستيقظ ظهراً على اتصال صفا التي تنتظره في المكان الموعود

وهو في غفلةٍ عن هذا

اتصل بصفا واعتذر منها وذهب للمكان الموعود

وبعد حربٍ قد اعلنت في مواقف المواصلات ولكثير من الزحام وكأن جنة الخلد قد وقعت في هذه الحافلة استطاع يعقوب الوصول لصفا

صفا: تأخرت كثيراً

- انت من سكان هذه المدينة لذلك لا يجدر بك ان تسالي مثل هذا السؤال

- نعم صدقت معك حق ، والان اخبرني ماذا تريد مني وما هو هذا الشيء الذي ستعطيني اياه

اخرج يعقوب الدفتر من حقيبته ووضعه امامها على الطاولة

نظرت للدفتر بتعجب وقالت وهي في غاية الصدمة

- كيف وصل إليك هذا الكتاب

- لا ادري رايته في منزلي هذا لا يهم المهم انه وصل اليس كذلك

- وبالطبع قرات ما بداخله

- نعم قد قرأت كل شيء لأنني اريد معرفة لمن يعود

- اللعنة عليك يا يعقوب قد عاهدت نفسي الا اخبرك انت بالذات عن اي شيء لكيلا يتخيل لك انني احدى مرضاك او ما شابه ذلك

- اطمئني يا صفا انت صديقتي ولن تكوني احدى المراجعين حتماً

- حسناً اطلب لنا شيء نشربه لأننا سنتحدث كثيراً إن لم تمانع

- بكل سرور

- حسناً من اي صلبٍ تريد ان ابدأ لك

-كما يحلو لك

سرحت في خيالها وتغيرت ملامح وجهها وكأنها قد عادت إلى الجحيم التي عاشت به لفترةً طويلة

- ابتدأ الكابوس يا يعقوب منذ ان توفي والدي رحمة الله عليه

كنت ما ازال في المرحلة الجامعية وكنت ادرس في كلية الطب

وكما تعلم انه بعد وفاة ابي يتوجب على امي ان تجلس في العدة الشرعية لمدة اربعة شهورٍ و عشرة ايام ، انتهت امي من عدتها الشرعية وبعدها بثمانية اشهر تقريباً قررت ان تتزوج

لم امانعها مطلقاً فهذه حياتها وليس لي شأنٌ بها فقد كانت خسارتي لابي اشد قسوة من خبر زواجها تزوجت وفي بداية الامر كان زوجها رجلٌ لطيف جداً يحاول ان يعوضني عن حنان الاب الذي فقدته لكنه خسئ ان يكون بمثابة ابي لان ابي رجل بكل ما تعنيه كلمة رجل من معنى فقد انجب فتاةً لا تقهر ترعرعت على منهج التقى والصفاء

وبعد فترةٍ من الزواج بدأت الامور تتغير لم تعد نظرته لي نظرة ابٍ لابنته كان يلتهمني بعينيه ويقذف كلماتٍ لا تخلو من الشيطانية لي حاولت تجنب الامر في البداية لكنه ازداد تطوراً لم يعد يكتفي في التلميح والمراوغة من بعيد حتى جاء يوماً من الايام يقول

-كيف حالك يا صفا

- اهلاً يا عمي ماذا تريد

- وماذا اريد من فتاةٍ جميلةٍ مثلك

- اخرج من هنا ولا تدخل غرفتي مرةً اخرى

- لماذا كل هذا الرفض الست زوج امك

- لأنك زوج امي اخرج

اقتحمت امي الغرفة على صوت صياحي بوجهه

فقال لها كنت اطمئن عن وضعها الدراسي لا اكثر واصبحت انا الجانية بعين امي

زادت تحرشاته اللعينة يوماً بعد يوم وامي في غفلةٍ عن هذا

احببت شاباً كان الملجأ الوحيد لي لكننا انفصلنا بعد مدةٍ صغيرة وترك داخلي جرحٌ عميق ولن احدثك عن مسيرتي معه مطلقاً

تعايشت مع الواقع وصبرت من اجل دراستي وعندما حصلت على شهادة التخرج وانا طبيبة كانت هذه الفرحة التي زاحت بعض الالام عن صدري توجهت نحو المقبرة مباشرةً جلست بجوار ابي وحضنت قبره ودموعي تبشره بنجاحي الذي كان ينتظره

اما عن امي فلم تبدي اي ردة فعلٍ حول هذا الامر وكأنني لا انتمي لرحمها مطلقاً

بعدما تخرجت من كلية الطب وهبني القدر فرصة للسفر إلى القاهرة للاختصاص هناك ولم ارفض مطلقاً ذهبت للقاهرة وكانت من اجمل المدن التي راتها عيني وجدت عملاً في مشفى وقد اعطاني صاحب المشفى غرفةً للعيش فيها

كان هنالك شابٌ يدعى نزار وكانت علاقتي معه جيدةٌ جداً

حاول جداً ان يحصل على قلبي لكنه فشل

انهيت اموري في القاهرة متوجهتاً لسوريا للعيش بسلام مع امي لعلَّ فراقي حرك شيء ما بداخلها وعندما وصلت

لم اجدها كانت قد غيرت عنوان منزلها ولم تخبرني بذلك حتى

لم اتعب نفسي في البحث عنها فأبي مات وانتقل للسماء وهي ماتت وانتقل عطفها لشخصٍ اخر لشخصٍ كان بنظرها ملاكاً بريء وفي الوقت ذاته كانت ابنتها شيطانةٌ لعينة

بحثت عن عيادةً صغيرة لأبدأ السير بمفردي نحو المجد

وبحكم انني طبيبةٌ نسائية فضّلت ان تكون عيادتي في المناطق الشعبية من المدينة فهم احق بعلمي من اهل المدينة الاثرياء

وبتوفيقٍ من الله بدأت العمل بشكلٍ يومي ولم املك ملجأ سوا تلك المذكرة التي وقعت بين يديك

ومن اجل توفير بعض المال كنت انام في عيادتي ذاتها

واعمل طبيبةً ليلية بأحد المشافي ايضاً

كان ذلك الوقت الخط البياني لحياتي يمشي بتوازن على استقامةٍ واحدة دون اي عثرات تخربه وبعد مرور حوالي سبعة اشهر بدأت الكارثة

قبل ان اغلق العيادة مساءً واتوجه نحو المشفى جاءت مريضة تريد ان أتأكد إن كان موجودٌ داخل رحمها جنينٌ ام لا

وبعد اجراء الفحص اخبرتها والبسمة قد رسمت على وجهي

- مباركٌ يا مدام انت في الشهر الثالث من الحمل

نظرت لي بغضب وقالت

- مستحيل هذا مستحيل تأكدي انت مخطئة وانا متأكدة من ذلك

- هدئي من روعك انت حامل ولا شكٌ في هذا حتى انظري تستطيعين رؤية الجنين من هنا

- لا انت كاذبة لعينة انت كاذبة

خرجت من العيادة وهي تردد هذه لكلمات لم ادرك حينها شيء كل ما خطر ببالي انها لا تريد الحمل من اجل الاوضاع الاقتصادية التي تمر بها البلاد

وبعد مرور يومين تقريباً جاء رجلٌ وبرفقته ذات الفتاة

استقبلتهما افضل استقبال فالتفتت الفتاة نحو الرجل وقالت له

- هذه الطبيبة أسالها ان لم تصدق

- هل حقاً رغد تحمل بداخلها جنين

- انا لا اعلم إن كانت تسمى رغد لكن نعم هذه الفتاة تحمل بداخلها جنين

- اريد رؤية ذلك بنفسي

- حسناً كما تريد تفضل معي

اتجه معي وتأكد بنفسه من وجود طفل

- اسمعي هذا الطفل يجب ان يموت وباي طريقةٍ كانت

- يموت**!!!** ولماذا انا اعلم ان حال البلاد اتخذ الهاوية سبيلا لكن ليس لدرجة ان تقتلون طفلكم واما عني فهنالك قسم واخلاق ودين قد منعوني من فعل ذلك

- هرائك هذا لا يهمني اريد ان يموت الطفل وحسب

عليك ان تدركي ان هذا الطفل غير شرعي ويجب ان يموت

عندما قال لي تلك الكلمات نزلت صاعقةٌ على رأسي حينها

- ماذا تقول انت .. طفلٌ غير شرعي هذا يعني انكم..

- نعم نعم والان كم تريدين لإجراء هذه العملية

- تفضلا اخرجا من عيادتي ولا تعودان الى هنا مرةً اخرى

وإلا اتصلت بشرطة

نظرا الاثنين ببعضهما وضحكا بسخرية وقالا

- من .. الشرطة

- نعم وان كنتم لا تصدقون سأفعل هذا امامكم

رغد: انا أنصحك بالتراجع عن هذه الفكرة التعيسة لكيلا تعرضي نفسك للخطر افعلي كما قال لك سيدك

- لا سيد لي هنا هيا اخرجا ولا اريد رؤية وجهكما مرةً اخرى

خرجا من العيادة وقبل ان يخرج ذلك الرجل اخبرني

- انا اعلم ان مثل هذه الاوامر تأخذ فترةً صغيرةً لتنفذ لكنها ستتنفذ لا محال وإلا

- وإلا ماذا

- وإلا قلبت لك حياتك رأساً على عقب

بعد يومين من الان ستاتي رغد وستجري لها العملية دون ان اشغل نفسي في القدوم يومان ولا اكثر

خرج من العيادة وتركني في حيرةٍ وخوفٍ من امري ماذا سأفعل

من المستحيل ان اخضع لطلباته وخصوصاً امثال هذه الطلبات

لكنه سيعرضني وعيادتي للخطر

لا يهم المهم ان احافظ على ديني واخلاصي لمهنتي

مضى يومان ولم تأتي هذه الفتاة التي قلبت حياتي كلها والتي تدعى رغد

وفي اليوم الثالث اتت وتوجهت مباشرةً لغرفة المعاينة

- سيدك قد اعطاك يومان مهلةً ولقد اعطيتك يوماً ثالث مني والان ماذا هل انت جاهزة لإجراء هذه العملية

وتذكري اذا قمت بإجرائها ستكونين من المقربين

وستحظين بسلطةٍ ومقامٍ رفيع

وإن لم تفعلي ذلك

فبئساً لحياتك التي لن تخلوا من الجحيم

- جحيم الدنيا مكسبه نعيم الاخرة

اما نعيمكم فلا خير فيه

- هذا يعني انك

- نعم هذا يعني انني لن اجري هذه العملية هيا تفضلي اخرجي

- حسناً لكن تذكري ستلومين نفسك كثيراً

خرجت وتركتني وعلى وجهي راية الانتصار قد رسمت كنت احسبها تهديداتٍ لا جدوى منها وانت تعلم جيداً ان بلادنا للأقوى وليس للجميع كلما كانت نفوذك اعلى كلما كانت مرتبتك ارقى وكلما زاد عدد اقربائك اصحاب الايادي الطويلة كلما كنت اكثر استقراريه من غيرك

مضى اسبوع تقريباً على تلك الحادثة ولم يحدث اي شيء حتى انني بدأت انساها

وبعدها بفترةٍ صغيرة اعلنت عصافير الفرح حدادها في حياتي واقسمت الا تزقزق ابتهاجاً مرةً اخرة

قد انتهى كل شيء حينها

عدت صباحاً لمنزلي بعد انتهاء دوامي الليلي

وقبل وصولي للمنزل وجدت الشرطة قد حاوطت المكان في الكامل لم يخطر لي حينها سوى ان بعض الزعران قد تسببوا بمشكلةٍ في المنطقة او ما شابه ذلك

لكنني صدمت عندما وصلت لمنزلي فرأيت الشرطة قد اقتحمت عيادتي وتمركزت بها

الشرطي: هل انت الطبيبة صفا

- نعم انا هي لكن ماذا يحدث هنا ولماذا قد اقتحمتم عيادتي بهذه الطريقة

- نحن من يجدر بنا ان نسالك ماذا يحدث هنا تفضلي معنا للداخل

دخلت لغرفة المعاينة فوجدت الدماء في كل مكان ومعداتٍ لست من املكها والشراشف البيضاء قد تخربت في اللون الاحمر

- انا لا افهم شيء ما كل هذا

- الامر واضح امامك يا انسة صفا

- كن على ثقة انني لا اعلم بشيء خرجت من المنزل في الامس ولم يكن على هذه الشاكلة

- انسة صفا انت متهمة بأجراء عمليات تخالف الشرع والقانون

- ماذا تقصد

- اقصد ان تتفضلي معنا انت متهمة بأجراء عمليات اجهاض وستبقين في ذمة التحقيق حتى تثبتين براءتك

سحبت للسجن متهمةً بشيء لم ولن افعله

وبعد مدةٍ صغيرة ظهر الحكم بحقي وسحبت شهادتي مني وحرمت من ممارسة المهنة بكافة ارجاء القطر

والسبب هو لأنني ابيت عن عمل شيء لا يرضي الله فتهمت به

وهنا قد انتهى كل شيء وبدأ كل شيء انت تعرفه عني

اخذ يعقوب الرشفة الاولى من القهوة بعدما نشغل بسماع قصة صفا الغريبة نوعاً ما والتي من المفروض الا تحدث بمدينةٍ انجبت الكثير والكثير من الاسماء التي عجز التاريخ عن تدوينها ولكنه قد حدث للآسف

- أتذكرين ماذا يدعى ذلك الرجل الذي قد اتى مع تلك الفتاة رغد؟

- وهل لشخصٍ دمر حياتي ان انساه بهذه البساطة انا اعرفه اكثر من اي احد

- ومن يكون

- سأكتفي لهذا الحديث

- لماذا لم تختاري نزار وتبدئي حياةً جديدة

-اخبرني يا يعقوب هل يعقل ان تحب شخصاً تزامناً مع خروجك من علاقةٍ عاطفية

- ولما لا فالقلب لا سلطان عليه ولا عقل يأمره

- لم افكر حينها هكذا

- اسمعي يا صفا لم يكن الانسان ليوم حكيم قلبه

انت معرضة لحب شخصاً لدرجة لا توصف وانت واثقة من صدق مشاعرك اتجاهه لكن خيبة امل واحدة تكفي لتحطيم كل شيء وفي الوقت ذاته كلمةٌ واحدة من اشخاصٍ لامسوا عقلك يستطيع القلب ان ينبض في الحب من جديد لكن حذاري من خيبات الامل المتكررة

إن اردت الانجرار خلف كلمات المجتمع فبكل تأكيد ستكون ردودهم سلبية لا محال لأن هذه الاشياء لا تحدث سوى مع المراهقين في العمر ابناء الثمانية عشر بنظرهم وهذا امرٌ خطأ

فالحب لا يدرك مدةٍ زمنية مضت ولا يدرك مطبٍ قد وقعنا به ولا يدرك حالة نفسية نعيشها الحب يهاجم العقل بشراسة يأمره فينفذ

هنالك الكثير من يقولون انهم لن يسمحوا لذاتهم خوض تجربة حبٍ جديدة بعد تلك التي خيبة ظنونهم وصدقيني هم كاذبون يكذبون على انفسهم لانهم لم يعثروا على الاشخاص الذين سيمسحون الغبار الذي بنيَ على قوبهم الذين سيعالجون اكتهال عاطفتهم وصدقيني لو وجدوا لكانوا اسرعوا بالاستجابة مباشرةً

ما من احدٍ يحب الوحدة يا صفا لكن الظروف تجبرنا على عيشها نحن لسنا منعزلين بنفسنا لكن ما من احدٍ مد يد العون لنا

ولذلك فإن الحب من بعد علاقةٍ لم تنجح غير محرم فمن وجد الشخص الذي يضمد له جروحه فلا حكم عليه لكن اخبرتك حذاري من خيبات الامل المتكررة والاختيارات الخاطئة

- شكراً جزيلاً لسماعي واتمنى ان يبقى كل شيءٍ هنا

- لا تخافي يا صفا ... مع السلامة

ذهبت صفا وتركت يعقوب يفكر بمدى خطورة ذاك الرجل الذي يدعى طوكيو والصدفة التي جمعت اصدقائه الثلاث بشخصٍ مثله وهم ذاتهم لا يعلمون ذلك

لأنه وقد توضح له ان رغد الفتاة التي كلمته عنها ميّار منذ زمن هي ذاتها الفتاة التي ذهبت لصفا لأجراء تلك العملية الشيطانية

والرجل الذي اتى معها هو ذاته الرجل الذي اودى بشهاب إلى فعل كل تلك الجرائم

تحرك يعقوب من المقهى متوجهاً للمنزل وفي طريقه اتصل بشهاب

- مرحباً شهاب لن اعود اليوم إلى المنزل اراك غداً

- حسناً سأعود لمنزلي واراك غداً

كان يريد يعقوب ابعاد شهاب عنه في الوقت الراهن ليكون الجو ملائماً للحديث مع مصطفى عن ما حدث معه

وكيف يتوجب عليهم ان يتصرفوا

وصل يعقوب للمنزل متجهاً مباشرةً لمصطفى

- اخبرني إذاً ماذا حدث وكيف كان لقائك بـ صفا

- اسوء من ما تتخيل كابوسٌ قد تطفل على حياتي من جديد بعدما تجاوزت مرحلة الكوابيس

اخبر مصطفى بكل شيء وهو في حالة خوف وقلق وكان الكلمات التي ينطقها تغز في صدره قبل ان تخرج للملء

- هذا ما كنت اخافه وهو ما توقعته

- ولكن كيف لثلاثة اشخاصٍ ان يجتمعوا على طاولةٍ واحدة دون ان يدري كل منهم ان غريمهم واحد ولماذا على طاولتي

لماذا جعلني القدر معقلاً لهم

هل من المنطق ان يكون كل هذا في محل الصدفة

- ولما لا؟؟

شخصاً بنفوذ طوكيو وطغيانه حتماً سيكون له اذى في كل مكان

قد جمعك القدر بثلاث فقط يا يعقوب بثلاث لا تنسى انه هنالك الكثير والكثير منهم في كل مكان

لك الحق التعجب في بلادٍ خالية من الحقد والكراهية لك الحق في التعجب عند حصول مثل هذه الامور في عهد عمر وعلي

لكن في ايامنا هذه توقع كل شيء يا بني فما من احدٍ معصوم عن الظلم

- لربما اصبت والان ماذا يجب علي ان افعل

- انت اما خيارين لا ثالث لهما الاول قم لمنزلك واحزم حقيبتك وكان شيء لم يكن

- والثاني

سكت مصطفى قليلاً حتى نطق قائلاً

- سنكون امام رحلةٍ طويلة وشاقة فهل انت مستعد

- انت تعلم جيداً ان الخيار الاول لا يروقني مطلقاً لذلك هات ما عندك

ستقوم بدعوة اصدقائك الثلاث للعشاء بعد غد وسيقام العشاء على شرف كشف الاقنعة

- اخاف ان يكون ما يدور في راسي هو مقصدك

- نعم يا يعقوب ستجمع اصدقائك الثلاث وتضعهم على طاولةٍ واحدة وتخبرهم بكل شيء ستقام حرباً وانا اعلم بذلك لكن تأكد ان هذه الحرب سرعان ما يتضح الامر ستنقلب على طوكيو

- هذا يعني انك تريدني ان اواجه طوكيو

- ولما لا فإن كان رسولاً للكراهية فانت اهلٌ للانتقام منه عن كل ضعيف

- هل تعلم إن علمت ميّار ان شهاب هو من كان وراء كل ما حدث معه انا على ثقة انها سترتكب جريمة قتل

- لكنها ستهدأ حالما تعلم ان شهاب كان ضحية مثلها

- انا احب ميّار ولا اريد ان تكون هنالك فجوة بينها وبين شهاب اكون انا ضحيتها

- اطمأن لن يكون مطلقاً اصدقائك على يقين ان راس الافعى هو طوكيو وهو الملام الوحيد في كل ما حدث معهم

- اتمنى ذلك

- عند كشف جميع الاوراق على طاولة واحدة وترتيبها بصورةٍ اوضح من جديد ستكون بدايةً لحربٍ طرفها الاول سيفٌ مظلوم ورمحٌ مخذول وجنديٌ حُكِمَ ظلمٌ كلهم في مواجهة طاغية واحد

- وانت ما دورك في هذه الحرب

- انا قد اكتهل جسدي يا بني وايامي باتت قليلة وما اجمل الختام المسك

لا املك شيء اخسره ولست فوزاً لاحد وقد اتت هذه القضية لحياتي على طبقٍ من انتظار

- شكراً لكونك ابي

- سنحتاج في الايام القادمة لشخصٍ يضاهي طوكيو في نفوذه وانت تعلم ان اصحاب النفوذ والسلطة ليسوا سواسية

واظن ان هذا الشخص سيكون بمحل الثقة لحربنا هذه

- لا امانع إن كان يجدي نفعاً

الهول الاول

بني الظلم على خمس

طبيبٌ بيده العلاج لا يعالج إلا بالمال

وتاجرٌ يحتكر غذاء الفقراء

ومحبوبٌ لا يحب من يحبه ويرد الجميل بالإهمال

وشابٌ يهجر والديه

وحاكم لا يحكم في العدل ....

اتجه يعقوب لمنزله وجلس خلف مكتبه يفكر بالخطة التي رسمها مصطفى ومدى خطورتها على حياتهم جميعاً ولكننا بشر والبشر في مثل هذه المواقف مسيرون لا مخيرون

نفعل ما لا يحلو لنا وما باليد حيلة مجبرون على اكمال السيناريو الذي لم يسمح لنا بإلقاء نظرة إبداء رأيٍ فيه لا اعتراض

وقد ادرك يعقوب ان هذا السيناريو هو الاشد قسوة بينهم في حياته

اخرجه من شروده صوت الهاتف

- صديقنا طبيب العقلاء كيف حالك

- اهلا ميّار

- نبرة صوتك تحمل الكثير من الحروف خلفها اخبرني ما بك

- لن اسافر في الايام المقبلة

- حسناً !! وماذا

- هنالك بعض الامور التي اوقفتني في الساعات الاخيرة

- لعلّه خير ؟

- في الوقت المناسب ستكونين على اطلاعٍ بكل شيء

- اتمنى ذلك ولكنني اخشى من خطأك يا يعقوب وانت تعلم ثمن الخطأ على هذه البقعة من الارض

- نحن قومٌ لا نخطأ يا ميّار

- من انتم !! من زمرة الانبياء ؟؟

- لا لكننا خلقنا ونحن رافضين للخطأ ونعمل دوماً على تصويب انفسنا

- هل يمكنك ان تخبرني من انتم

وفي هذه الاثناء ابتسم يعقوب لوجود سبيل يبعده عن الحديث في ذلك الامر

- نحن النرجسيون آل نرجس

- طبيبٌ نفسي مصابٌ بمرضٍ نفسي

- لم تكن ليوماً النرجسية مرضاً نفسياً كما صنفت يا ميّار

- وماذا تسميها إذاً

- هي مجموعة معتقداتٍ وافكار وشعائر جمعت على حزمة واطلق عليها هذا الاسم

- ومنها

- الاهتمام المبالغ .. حب التملك .. الانانية في الاشياء التي تعود لنا على المستوى الاجتماعي طبعاً وليس على المستوى المادي فنحن لا مادةً تغرينا ولا مال

- اكمل وماذا ايضاً

- ولماذا هل اعجبتك

- قد تبين لي انكم تملكون ذات الطباع يا يعقوب

- هل كنت على معرفة بشخصٍ نرجسي

- نعم .. والان اكمل

كيف تفكرون ما هو سبيل الوصول إلى قلوبكم

- ميار تهتم بمثل هذه الامور

- هذا ليس من شأنك

- النرجسي لا يجيد الاعتراف يا ميّار او إن صح الكلام لا يضع نفسه بموضعٍ يصيب كبريائه بشيء من الانكسار

- وهل للنرجسي نصيبٌ في الحب

- إذا احب رفع إلى اعلى المقامات

وحذاري من خطأ يدمر كل شيء فالخطأ في قاموسه يعادل الكفر

- ولماذا كل هذه الصرامة

-ولماذا ركزت على هذا الجانب فقد اخبرتك إن احببنا نال المحبوب اعلى المقامات

- ولا بد من حدوث اخطاء

- انا لا اتكلم عن اي خطأ قد يحدث انا اتكلم عن تلك الاخطاء التي لا يغتفر لها

- وماذا بعد

- المزيد من الاتهامات والمزيد من الغرور والكثير من الافراط

- الافراط بماذا

- الافراط في الحب الافراط في التفكير الافراط في الوعي

- ولماذا

- سأعود لبداية حديثنا لأننا لا نخطأ

- غريب الاطوار ورب الكعبة حسناً اخبرني إذاً ماذا ستفعل في الايام المقبلة

- لا شيء لكن ترقبي هاتفي بأقرب وقت إلى اللقاء

اغلق هاتفه وجلس وهو يفكر اكان هو المقصود

ثم تنحنح من مكانه وقال

كف عن هذا الغباء يا يعقوب انت اقوى من ان يضعفك الحب إن كنت انت فيا مرحباً بها وإن لم تكن انت فيا مرحباً بك

اشعل سيجارته وعاد لسيرته الاولى من التفكير والتخطيط

جاء التيار الكهربائي ونادراً ما يحدث مثل هذا الامر

توجه نحو التلفاز وكعادته اداره نحو النشرة الاخبارية التي لا تسمن ولا تغني من جوع لكن لا بد من سماع بعض الحروف والوعود الغير منتهية

المذيعة: شهدت البلاد في الاسابيع الماضية ازمةٌ اقتصادية رافقها تدهورٌ ملحوظ في الحال المادي لأغلب المواطنين وعلى اثر هذه الازمة والتي كان ولا زال سببها الحصار الخارجي الذي فرض على البلاد مؤخراً تواجه البلاد نقصٌ في الموارد النفطية مما ادى إلى نقص مادة المازوت والبنزين والغاز المنزلي والصناعي

وقد شُهِدَ على اثر هذا النقص الكثير من حالات الهلع بين الاهالي خوفاً من انعدام المادة في فصل الشتاء وعدم توفر البديل للتدفئة . كما لوحظ ايضاً ازدحامٌ شديد على مواقف النقل بين المناطق في عدة محافظات من القطر، وكان هذا العجز النفطي دافعاً اساسياً لتجار سوق السوداء للتحكم في عصب البلاد والهيمنة على رزق العباد ..

وبعد اجراء الكثير من الحوارات مع كافة فئات المجتمع كانت ردة فعل الاغلبية هي الدعاء وانتظار تنفيذ الوعود من اللجان المختصة في هذا الامر

وإليكم القليل من ما استطعنا المامه من الشارع السوري

المراسل: اخبرنا ما رأيك في الوضع الذي تشهده البلاد مؤخراً

المواطن: حدد من فضلك عن اي المٍ تماماً تريدني ان اتكلم

المراسل: عن كل شيء

المواطن: إن اردنا الكلام عن كل شيء فلن ننتهي اليوم اخي العزيز لكنني سأكتفي في الكلام عن الغلاء الفاحش نحن نعلم ان البلاد تتعرض لحصارٍ اقتصادي صارم لكن إلى متى هذا الضعف من الرقابة على الاسعار

إلى متى ونحن نعمل الليل ونهاره دون جدوى إلى متى سنبقى عاجزون عن تامين متطلبات الانسان اليومية غلاءٌ فاحش واجورٌ تعود لعصر الجاهلية لا اريد الكلام اكثر من ذلك

المشهد الذي امامك يتكلم بدون حروف وصرخات قلوب المنتظرين على المواقف الطرقية تُسمع وسط كل هذا الضجيج

وعقب على كلامه ساخراً

واما عن نقص الموارد النفطية فهذا لكي نطبق قوله تعالى

ونشعل النار من الشجر الاخضر

شابٌ اقتحم الشاشة قائلاً

- الان وبسبب المواصلات قد حرمت من تقديم امتحاني الجامعي بسبب بعض القوانين الصارمة التي لا تسمح لنا بالتأخر بضع دقائق حرمت من نجاحي لا ادري ماذا سأقول لله المشتكى

توجه الميكروفون نحو عجوزٍ يدخن السجائر فقال للكاميرا

- اسمع يا بني اترك الناس تفرغ ما داخلها بداخلها اود قول شيء واحد

المراسل: تفضل يا شيخ

- أعيدوا لنا صوت الرصا..

المذيعة : كنا معكم من نشرة الثامنة سنوافيكم باخر الاخبار شكراً لطيب استماعكم إلى اللقاء

اطفأ يعقوب التلفاز وقال

- فصوت الجوع اشد قسوة

وكعادته يهرب من كل شيء متخذاً مكتبه واقلامه درعاً وسلاحاً يحمي بهم نفسه من الجنون

اشعل جرعةً من النيكوتين وجلس ليحطم صفاء وبياض اوراقه بحروفه اللا منتهية وبدأ

الصدمة ذاتها التي لن تفارقني طوال حياتي هم الثلاث ميار وشهاب وصفا كانوا فريسةً لمفترسٍ شرس لا يرحم

ماذا يجدر بي ان افعل

هل اخبر شهاب عندما التقيه ان الفتاة التي قد الحق بها الضرر ايام ضياعه هي حبيبتي ميّار ليتحول من معتكفٍ في المسجد إلى الى معتكف الجحيم الدنيوي

ام اخبر ميّار بان الفتاة التي اودت بمستقبل صفا هي ذاتها التي كانت صديقتها ليومٍ من الايام

ام اخبرهم هم الثلاث بان عدوهم واحد القاتل والظالم واحد

هم مشتتون بينما هو يصب نبيذ الانتصار بكل ليلة

ليعلم جميع القرّاء الذين قد يبللون السنتهم بسم اوراقي

بان ظلمهم يعود لظالمٍ واحد تكاثرت يداه وتفرعت اغصانه

صحيحٌ انكم تختلفون في كل شيء

في الآراء في الافكار وفي الطباع في الوانكم وفي السنتكم وفي لكناتكم الغرامية

لكنكم تتحدون بشيء واحد وهو الالم...

انتم تجتمعون على طاولة الانكسار ذاتها وتتناولون من ذات الطبق

وتشربون كؤوس الصمت تتقاسمونه بين انفسكم

يجمعكم هذا الشيء الذي اذا اعلنتم وحدتكم به لربما قد يختفي

تأكدوا دائماً ان العصبة في حزمتها تؤلم

وانني لو استطعت الالمام بأفكاري وتوحيد اهدافي لكنت استطعت مواجهة ميّار بحبي

وان والدة صفا لو كانت بجانبها لاستطاعت مواجهة تلك المصيبة

وان عائلة ميّار لو اتحدوا لاستطاعوا الاطاحة بذاك الشخص الذي اتهم ابنتهم في العار وهم وعشيرتهم اهلن لذلك

وان شهاب لو استطاع الاستمرار بالطريق الذي رسمه له والديه لما كان وصل إلى ما وصل إليه

وانهم جميعاً لو اجتمعوا على ان يطيحوا بطوكيو اللعين لاستطاعوا وهذا ما سيحدث

قد انزل الله تعالى الكتاب الكريم وهو محملٌ بالكثير من الحكم التي يجدر بنا الالتزام بها

فقد قال تعالى واعتصموا بحب الله جميعاً ولا تفرقوا

اين نحن اليوم من قوله تعالى

اين اجيالنا اليوم منه تعالى

اين شيوخنا اليوم من نقلهم للدين بشكلٍ منتظم

اين التزامنا والتزام شبابنا بحدود الله

اين الراعي واين الرعية

اين نحن من انفسنا التي ولدت طاهرة من كل رجس

حتى اصبحت العاهرة تضاهي الشريف فينا علماً

إلى متى سنتيح الطريق لتلك العاصفة التي داهمتنا

إلى متى سنسمح للذين استحوذوا العاصفة سلاحاً فتاكاً ضدنا

ان يتحكموا بنا ويسوقونا نحو الهاوية

نحن وبفعلنا قد حرمنا من نعيم الدنيا ومن نعيم الاخرة ايضاً

ومن اجل من ومن اجل ماذا

نحن ندير ظهورنا لعالمٍ كبير قد خلق لنا متوجهين نحو عالمٍ صغير لندخل به غصباً عن مبادئنا الأخلاقية نعبر منه رغم ضيقه الذي تشابه بخرم الابرة ونحن مستمتعين بذلك للآسف

ومع كل هذا نسال انفسا لماذا نحن على هذا الحال

علينا ان نكف عن الاسالة وان نبادر بصنع الاجابات وتركها ارث لأولادنا

علينا ان نكون صادقين مع انفسنا

صادقين بمواقفنا ومبادئنا

صادقين بحبنا

صادقين بانتمائنا لشعائرنا

صادقين بديننا وبصلاتنا وبقيامنا

والان علي ان اترك وصيةً لكم بسلامٍ لكل من يقرا هذه الاوراق

فالأيام المقبلة ستكون اشد صرامةً وظلماً ولا ادري لربما مزاج حبري يختلف حينها

اوصيكم ان تعيشوا بما يرضي الله

ان تحبوا بصدق وان تحافظوا على من احبكم بصدق

ان تقاتلوا من اجل الوصول

اوصيكم ان تعيشوا حياةً اجتماعية فلسفية ثقافية يفوح منها عطر العلم

اوصيكم ان تدعون لي بالرحمة والمغفرة

اوصيكم بان تحبوا انفسكم وان تصنعوا اجيالاً قد فشلنا في صناعتها

اجيالاً ذهبية لا تحمل الحقد لا تحمل النفاق والخداع لا تحمل الكذب

اوصيكم بصناعة رعاة قد فشلنا بصناعتها

رعاةً تحمي الرعية وتحبها وتؤمن لها مرعاها وغذائها فمزارعنا اليوم مشتعلة ولا لبن نزوقه من اغنامها

اوصيكم بان تكون لكم مزارعٌ قد شابهت جنة الخلد بخيراتها....

وللحديث بقية .....

وضع القلم من يده وهو معترفاً انه قد الحق الاذى بالأوراق بما يكفي لتنزف الماً حتى بعد حين

خلد في نومٍ عميق محاولاً التحكم بتسارع الساعات لينهيها بكل ما اتاه الله من قوة

في مكانٍ جديد

خلف المكتب يجلس رجلاً ذو جسدٍ كالحديد صلابةً بملامح وجهاً عاهد الدهر الا يبتسم لاحد

صاحب البشرة البيضاء والشعر المظلم الذي يزينه خصلةً من بياض نجوم السماء

تراودك افكاراً الان من هذا الذي يجلس بقوةٍ وجبروت مهيمناً سيطرته على المكان

كان ظهره وجهاً لجميع الزائرين

لك الحق بالتعجب من صرامته مع الجميع وامواج صوته التي راحت تتنقل بحرية دون خوف في كل مكان

ولكن إن ازحت نظرك قليلاً نحو الاسفل سترى قطعة خشبية محفورٌ عليها اسمه

طهران .. المحقق طهران

- احترامي سيادة المحقق هنالك عجوزٌ برفقته شاب يطلبان منك الاذن بالدخول

اكتفى بالإماء بسبّابته معطياً امر الدخول

دخل العجوز برفقة الشاب للمكان الذي لا يقل هيبةً عن جالسه

- السلام عليك يا بني

-وعليك السلام هات ما عندك وحاول اختصار ثرثرتك قدر المستطاع

- كان والدك اكثر منك احتراماً يا طهران

سُعِقَ مما سمع واشتعلت عيناه بشرارةٍ لا يطفأها رجاء

التفت نحو العجوز ليتحول المشهد امامك من كارثي إلى عاطفي

وسرعان ما رأى طهران وجه العجوز حتى انقض على يديه يقبلها ويطلب العفو والسماح

(طبع الاصل غلّاب)

فسرعان ما نواجه جزأً من ذكرياتنا الجميلة مجسداً امامنا من جديد نتعرى مباشرةً من كل الاقنعة التي ارتديناها بعد زوالها

نتعرى منها دون الخوف او القلق من العواقب التي لربما سنوجهها وكذلك طهران سرعان ما رأى ملامح ابيه بصديق عمره عاد لسيرته الاولى طفلاً لطالما اعتاد مصطفى على حمله

- ارجوك اعذرني يا ابي انا لم اقصد الاساءة لك مطلقاً لكنك تعلم جيداً طبيعة عملنا وكم الصرامة المطلوبة مننا

قال مصطفى ضاحكاً

- لكن هذه الصرامة لا تنطبق على عمك مصطفى يا ولد

- انت الملام يا عم كبرت سريعاً واصبح صوتك كصوت العجوز المكتهل

- مازلنا شباب يا طهران هل تود المبارزة

وبين كلمات الشوق والسلام كان يعقوب جالساً يفكر من اي قضية عليه ان يبدا

نظر إليه طهران بملامح المحقق وقال

-ومن يكون هذا المعتوه يا عم

غضب يعقوب جداً من اسلوبه فامسك مصطفى بيده ليهدأ من روعه

- الدكتور يعقوب وهو بمثابتك عندي يا طهران إنه يقيم بالشقة التي سكنتموها لمدةٍ طويلة

- ومن ثم اشتريتها انت لكي لا يقيم احدٌ بجوارك من بعد ابي

حسناً يا عم بما انه معك فهو بحصانتك وبما انه شرِّف بالمنزل الذي جمعنا سأكون ودود معه ، ثم نظر الى يعقوب واكمل حديثه مع مصطفى قائلاً

لكن اخبره بان يخفف من ادواره البطولية والغضب السريع

على هذه الارض لن تجديه نفعاً مطلقاً

ابتسم يعقوب واكتفى بهذا بينما قال مصطفى

- اسمع يا بني نحن هنا بأمرٍ اشد خطورة مما يتخيل لك ولولا وثوقي بانك اهلٌ لها لما قصدتك

-ماذا جرى يا عم هل تعرض لك احد زعران المدينة اصحاب السلاح

- الامر الذي جات من اجله اكبر من ذلك بكثير

- حسناً سنتكلم بكل شيء بعد احتساء القهوة

جاءت القهوة وجاءت كلمات يعقوب وهو لا زال ينتظر الاذن من مصطفى لينطقها

- حسناً يا عم اخبرني ما هو هذا الامر

-انا لن اتكلم ساترك هذه المهمة ليعقوب لأنه الشاهد الاول على كل شيء

- هل سمعت بشخصٍ يدعى طوكيو من قبل

سماع اسمه كان كفيلاً لجعل عروق يداه ووجهه ينتفضان

لكنه استطاع كتم الغيظ وقال

- نعم انا اعرفه جيداً بعيداً عن موقعه الحساس في الهرم الامني فهو يملك سلسلة كبيرة من الفنادق والمنتجعات والمطاعم في انحاء القطر، إضافةً لذلك مدرساً هو مدرساً في احدى الجامعات وعميداً في احدى كلياتها ايضاً

- هذا ما نعرفه جميعنا وما اراد لنا ان نعرفه فهو الملاك الرحيم على شاشات التلفاز

لكن السيرة الذاتية لهذا الرجل شيطانية بما يكفي لجعلك تقتله دون التفكير او انتظار مطرقة القاضي لأنك ستعلم انها لن تجدي نفعاً مع امثاله

- وهل لديك القليل من سيرته

- لدي الكثير إن اعطيتني القليل من الوقت سأخبرك بكل شيء

سرد له كل شيء يخص طوكيو واوضح له مدى خطورته

صدم طهران مما سمع واصفر لون وجهه وفزع اشعل سيجارته وقال

- هل انت متأكد من كلامك هذا

-بالطبع والضحايا لا زالوا على قيد الحياة

- حسناً اسمعاني جيداً نحن نعلم مسبقاً مدى خطورة هذا الرجل ونحن على معرفةٍ بعمليات تهريب المخدرات وما شابهها من افعالٍ قذرة لكننا لم نستطيع حتى هذه اللحظة الوصول لمستمسكٍ ضده يجعلنا ننقض ونلقي القبض عليه

لكن الان اختلف الامر

نحن نملك الان ثلاث اسلحة من العيار الثقيل والتي ستودي به الى قعر جهنم هو ومن معه من شركاء وعمال ولكن الامر ليس بهذه السهولة يجب علينا ان نكون حريصين جداً وإلا سنلقى حتفنا وتضيع قضيتنا واجسادنا ايضاً

- ماذا سنفعل ومن اين سنبدأ

- الخطوة الاولى هي جمع هؤلاء الاشخاص ولكن ليس في منزل أيّاً منكم

نظر إليه الاثنين بتعجب فاردف قائلاً

- سيكون اجتماعهم في منزلك يا يعقوب خطراً عليك وعلى خطتنا لان شخصاً مثل طوكيو متوقعاً منه كل شيء وانت كذلك يا عم

ومن جهة اخرى من الصعب جداً السيطرة على ثلاثة اشخاص قد امتلئ عقلهم بشيء واحد وهو الانتقام ونحن بغنى عن تلك المذبحة التي حتماً ستحصل

سنقيم جميعاً بـ احدى المزارع الريفية في بادء الامر لكي نبعد الشكوك عنكم وسأكون مسيطراً للموقف بكل تأكيد

- ولكن يا بني إن وافق شهاب لن توافق الفتاتان مطلقاً

- ولن يوافق شهاب ايضاً يا عم وبالطبع لن تقومان بأخبارهم انكم ستذهبون لهناك بدون سبب وهم على ثقة ان ما من احدٍ منكم تروقه فكرة الاصطياف ولا هم كذلك

- وماذا سنفعل إذاً

- اسمعني جيداً يا عم في الايام المقبلة ستتصرف بشكلٍ طبيعي ومهمتك في بادئ الامر ان تقنعهم بمرافقة يعقوب لمحطة الانطلاق

وانت يا يعقوب ستقوم بالحفاظ على الاجواء وبكونك طبيب نفسي اجعلهم يستشيطون غضباً من طوكيو ولكن بطريقةٍ امنة وبشكلٍ اوضح هيئهم لبدأ المهمة

- هل يعني انني لن الغي رحلتي

- انت لن تقوم بشيء مطلقاً انت ستذهب للمطار واتركوا ما تبقى لي

- حسناً وماذا بعد

- حتى الان هذا ما سنقوم به وسأخبركم بوقتٍ لاحق ماذا سنفعل

الان اذهبا وافعلا مثل ما قلت لكم

- كبرت كثيراً يا بني

- ليتني لم اكبر يا عم ليتني لم اكبر

ذهبا يعقوب ومصطفى وتوجه نحو مكتبه فتح الدرج واخرج منه مغلفاً كان محتواه رصاصة وصورة شابٍ يضاهيه سناً وظرف مخدرٍ صغير ادمعت عيناه وقال

حان وقت الانتقام يا اخي ....

كانت الاجواء هادئة وفي داخلهم الكثير من الضوضاء

- هل سيستطيع طهران مساعدتنا يا عم

- انا متأكد من ذلك طهران ابن جاري العزيز

- صحيحٌ انت لم تخبرني شيئاً من هذا القبيل من قبل

- لم تسالني انت وها انت الان اصبحت تعرف

اخبرني إذاً متى موعد الانطلاق

- المفترض ان يكون ليلة غد

- حسناً اخبرهم اليوم ان يأتون جميعاً غداً

- وهو كذلك لكنني اتساءل هل سيكون الانتقام يليق بنتانة طوكيو

- طبعاً يا بني ولولا ذلك لما اخره الله إلى حد هذه اللحظة وإن لم نستطيع تلقينه ذلك العقاب الجهنمي فتأكد ان الله يؤخر حسابه ليوم القيامة

وتأكد ان المظلوم إن افاق طغت قوته على الظالم

- كل يومٍ تزداد ثقتي بان البشرية في خطر انظر حولك في كل بقعةٍ من بقاع الارض هنالك مظلوم وظالم قوي وضعيف

هنالك من ترك وصيةً بجانب السكين الذي قطع بها اوتاره والجثة ملقيةً حتى انتهاء المحقق من العشاء الفاخر

وهنالك من باع اساس منزله لتوفير ثمن الطعام لشخصٍ سيحوله لنار ويصنع شواءً فاخر

هنالك من مات ابنه بخطأ طبي بإحدى المشافي المجانية وهنالك من يرفع دعوى لعدم وجود تلفاز في غرفة ابنه بعد اجرائه عمليةً جراحية

هنالك من قتله البؤس وهنالك من قتله الفقر وهنالك من قتله المال هنالك من قتلته السلطة وهنالك من قتلته العبودية

الامر معقداً جداً انا متأكد ان للرب حكمةً بهذا ولا اعترض ابداً لكن اتمنى ان ينال كل ذي حقٍ حقه في نهاية المطاف

- نتمنى ذلك يا بني وسننال هذا التمني من صاحب العدل والان استأذن منك سأذهب لشرب الدواء واريد اخذ قسط من الراحة فقد كان يوماً شاقاً على جسدي وانت كن مستعداً فغداً امامنا يوم طويل

- اتصلت بشهاب واخبرته ان يأتي الليلة لمنزلي وسأبدأ به ولنرى ماذا سيحدث والان سأكلم الفتيات من اجل الغد

- إن احتجت لشيء سأكون بجانبك

وفي هذه الاثناء

تلقى اتصالاً من شهاب يخبره بانه ينتظره بإحدى الحدائق الاثرية التي اقسمت ان تكون حضناً لكل تائه صلة وصل بين العائلة والاقارب طبيبٌ نفسي لمرضاها هي امّاً لهم والام لا تفرق بين الغني والفقير بين السعيد والحزين بين القوي والضعيف فهي امّاً للعامة ولهذا سميت بـ الحديقة العامة

لها من الابواب ثلاث للمريض المثقل بهموم الدنيا باب وللمرح باب ولعابر السبيل بابٌ ايضاً

يمر فيها احد الانهار الاكثر شعبية في المدينة ليضيف لمسةً سحرية للمساء في ذلك المكان وللاعتراف نكهةٌ خاصة في هذا المكان الاعتراف بالحب.. بالهزيمة.. بالخيبة وبالانتصار

لمجرد استنشاق رحيق اشجارها تصبح نشوة الكلمات اكثر فعاليةً واكثر جرأة

وصل يعقوب إلى المكان المعهود وكان شهاب بانتظاره

- لماذا اتيت بنا إلى هنا

- وما هذا السؤال الاحمق كصاحبه انظر هل لك بمثل هذه الاجواء في منزلك

- اظنك محق

- لم تخبرني يا يعقوب متى ستنطلق

- غداً

نظر إليه شهاب بتعجب

- خفف من برودك هذا ارجوك وايضاً لماذا لم تخبرني بهذا مسبقاً

- لن يختلف الامر كثيراً يا شهاب

- وهل من احدٍ يعلم انك مسافرٌ غداً

- لا لكنني سأتصل بالفتيات للقدوم غداً هنالك بعض الاشياء سأتركها معهم لحين عودتي

- تقولها وكأنك ستعود

- نعم سأعود

سيطر الصمت قليلاً على الوجود حتى وبدون سابق انذار قال يعقوب

- انا احب ميّار يا شهاب

نظر إليه شهاب نظرات لا تخلو من الصدمة ومن ثم قال

- كنت اشعر بان امرٍ من هذا القبيل وليس هذا ما يثير تعجبي

الغريب في الامر ان يعقوب الشاب الكتوم يبوح بمثل هذه الكلمات دون خوفٍ او قلق واظن ان وراء هذا الاعتراف سبباً ما لذلك انبأني به لأنه يهمني اكثر من الاعتراف ذاته

كان توقع شهاب بمكانه فـ شخص مثل يعقوب لا يتكلم عن عبث

وما كان من يعقوب سوى ابتداع سببٍ يحتال به على شهاب فقال له

- اظن انك محق اخبرك لأنني من الممكن ان اقوم بفعل امرٍ ما غداً بقصد التقرب منها قبل الرحيل ولهذا اخبرك الان لكي ارفع عن نفسي العتب غداً

-خير ما فعلت لأنك لن تفر من عقابي واقسم لك بذلك انك لو لم تخبرني الان لكنت انزلت بحقك اشد العقوبات

- صاحب جسدٍ هش مثلك ماذا يستطيع ان يفعل

- صحيحٌ ان جسدي هش ولكنني املك روحاً تعشق القتال

كانت كلمات شهاب الاخيرة كفيلة لجعل يعقوب يبدأ بمهمته

-ولماذا هذه الروح لم تنتقم من طوكيو ام انها كغيرها تقوى على المستضعفين فقط

- لا يا يعقوب انت مخطأ انا لم ولن انسى ما الحقه طوكيو بجسدي ونفسي ودِيني ودنياي من ضرر ولكن

- ولكن ماذا هل تخاف منه

- امثال طوكيو يا يعقوب من السهل جداً التغلب عليهم ولطالما كان سلاح العقل اشد قساوةً من سلاح المال انا لا انكر ان طوكيو يملك الاثنين لكنني لا انكر ايضاً انه شخصٌ ضعيفٌ جداً عندما يتعلق الامر بمنصبه ومكانته بين المجتمع وقد اخبرتك من قبل كيف كانت ردة فعله اتجاه تلك الفتاة القوية التي حاولت كشفه

فتاة واحدة تملك من القوة ما يكفي لخلع عرش طوكيو وقلبه رأساً على عقب

اشتدت نبضات قلب يعقوب وصفر لون وجهه لكنه استطاعة السيطرة على الموقف فقال

- حسناً وبما انك على معرفة بما يهزه ويكسره لماذا لا تستغل نقطة ضعفه هذه وترد له الصاع صاعين

كان يعلم يعقوب ان عابد الذي يسكن شهاب لا زال حيّاً ولكنه اسير الماضي محجوزاً خلف قبضان الخوف من هزيمةٍ اخرى تسحقه وكانت مهمة يعقوب ان يوقظ عابد من جديد فقد حان وقت الحرية

- المعرفة وحدها لا تكفي يا يعقوب الامر اصعب مما تتخيل

لكنني ابشرك انني لن اتغافل للحظة عن الانتقام ولكن لا اريد ان افعل الفعل المناسب في الوقت الغير مناسب فأتلقى رد فعلٍ لا اقوى عليه

قالها يعقوب وبسره

قد جاء الوقت المناسب يا شهاب ارنا الفعل المناسب إذاً

- يعقوب ارجوك نحن لم نأتي لهنا لإيقاظ من اكتهل منذ زمن بضع ساعات تفصلنا عن الافتراق لنستثمرها

- لطالما كانت الساعات الاخيرة يا شهاب اصدق من غيرها بكثير تلك الساعات تختصر حب سنين مضت تختصر عثرات استطعنا تجاوزها بصعوبة تختصر بطولات وخيبات ومواقف كثيرة لم نتخيل ليوم انها ستمضي بسلام

الساعات الاخيرة من كل شيء كفيلة لجعلنا نظهر ما بداخلنا من نصوصٍ لم نتجرأ على التفوه بها

كفيلة لجعلنا نشعر بقوةٍ عظمى لنشعر بطاقةٍ كبيرة تعطينا الدافع لقول كل ما داخلنا دون خوفٍ او تردد دون انتظار الرد الصارم او إن صح الكلام دون سماع الرد بالمجمل

الساعات الاخيرة كفيلة لجعلك تحسم امرك إما لفتح ابوابٍ جديدة في حياتك او لأغلاق نفسك والمكوث بسجن الماضي

الساعات الاخيرة كفيلة لجعلك بطلاً وكفيلة لجعلك خائناً منتصراً او مهزوماً شجاعاً او خائف صدقني يا شهاب الساعات الاخيرة كفيلة لتجعلك تقلب الموازين وتخلق شخصية جديدة لنفسك بقواعد جديدة وافكار جديدة ومبادئ وقيم لا تطابق القديم مطلقاً تخيل يا شهاب قواعد استغرقت سنين لوضعها تهدم في ساعات وتشيّد غيرها مباشرةً وتأكد انه ما سيذكر عنك هو ما تركته في ساعاتك الاخيرة لا ما زرعته في مجمل سنونك

- انت محق ولإثبات ما قلت يمكنك مراجعة وصايا اهم الشخصيات عبر التاريخ ستراها اكثر شجاعةً من تاريخهم ستلاحظ الاختلاف بين الاسلوب الذين وضعوا فيه الوصية والاسلوب الذي اعتادوا على التعامل فيه لسنين طويلة

- وهذا ما كنت اقصده بالضبط

- اخبرني إذاً وكيف تريد ان تكون ساعاتك الاخيرة غداً مع ميّار

- اريد منك ان تعرض عليهم فكرة الذهاب معي لمحطة الانطلاق وهنالك سترى مسك الختام

- على الرحب والسعة بأفكارك الرومانسية يا صديقي الولهان

- هي لنذهب للمنزل إذاً فانا جائع والجو اصبح اكثر برودةً

- الا تريد التقاط بعض الصور هنا قبل الذهاب

كان يعقوب لا يميل قلبه لمثل هذه الطقوس لأنه وبطبعه يحب الحفاظ على حرمة المشهد الحي

ما فائدة الصور بغياب اصحابها ما فائدتها بغياب روح الشخص الموجود بجانبي القديمة ما فائدتها إن كانت ستصبح عاملاً للحزن والضيق ما فائدة تلك البسمة إن غابت وحل مكانها حقدٌ وكره ونفاق ورغم انه واثقاً بمبادئه هذه ولكنه كان يريد موافقة كل ما يقوله شهاب

التقطا بعض الصور التي تارةً كانت تظهر الحزن وتارةً كانت تظهر الشوق والحب والالم ورحلا

في هذه الاثناء تأكد ان امر شهاب اصبح بيده واستطاع السيطرة على عقله من خلال التقرب من افكاره وتأييدها

كان محقاً شهاب عندما قال ان يعقوب لم يخبره بأمر ميّار عن عبث

لكن يعقوب لم يكن محقاً عندما اخبره السبب

فكان السبب الاول والاخير هو الاستعانة بأسلوب شهاب اضافة للعم مصطفى لأقناع ميّار وصفا للذهاب معه لمحطة الانطلاق

وسيعرف حينها ما هو الشيء الذي يخطط له طهران...

وصلا للمنزل ومضى الليل بين حديثٍ وسرد

وفي صباح كان قد وصفه يعقوب بمذكرته قائلاً

"لا مفر ولا اختيار ثالث إما سنذهب للنعيم او انها بدايةً لجحيم ازلي"

كان الاتصال الاول الذي يتلقاه يعقوب من طهران \

- هل انت مستعد

- نعم ولكنك لم تخبرني ماذا سأفعل

- انت لن تفعل سوى ما طلبته منك نلتقي مساءً

اغلق هاتفه غاضباً من اسلوب طهران معه

- اللعنة على السلطة من يظن نفسه هذا الاحمق

جلس يهدأ من روع نفسه قائلاً

- لا بأس المهم ان ننهي هذا الامر باقل الخسائر ووجوده حتمي في خطة الانتقام هذه

اتصل يعقوب بصفا ليخبرها بان يأتوا مساءً لمنزله واخبرها بالحجة التي ابتكرها

- الن تفي بالغرض ميّار فقط

- لا تعالي معها لدي بعض الاشياء اريد تركها معك خصوصاً

- حسناً إلى اللقاء

اغلقت هاتفها وكانت ميّار تجلس على الكرسي المقابل لها تلاعب خصل شعرها بطريقةٍ توحي لك بانها تفكر بشيء ما

- ماذا تظنينه يريد

- قال انه يريد ان يستأمن لدينا بعض الاشياء

- يعقوب اعمق مما تتخيلين يا صفا وانا متأكدة انه اخر شيء يفكر به هو ترك بعض الاغراض لدينا

- وماذا تقصدين

- اقصد انه لماذا لم يخبر شهاب وايضاً انا متأكدة ان مصطفى سيرحب بطلب يعقوب

- حسناً المساء قريب سنعرف كل شيء

- نعم في المساء سيتضح الامر وانا على يقين ان القصة لن تنتهي عند استلام الامانة .. يعقوب يحضر لأمرٍ ما

- لا تستبقي الاحداث لنعد الفطار

الهول الثاني

من قتل حمزة

قتل مسيلمة

الاسلام ينفي ما كان قبله

والحب كذلك

كان جالساً خلف مكتبه يفكر بخطة اليوم ومدى صعوبة التعامل مع الاشخاص الذين سيساعدونه للأخذ بثأر اخيه ويساعدون انفسهم ايضاً وفي هذه الاثناء دخل رجلٌ عليه يبدو وكأنه عنصر من عناصره لكنه يحمل بعض الاخبار والتي تظهر من بين ملامح وجهه

- حسناً اخبرني يا احمد ماذا تبين لديك

اقترب احمد واشعل المسقط الضوئي الموجه على الحائط وابتدأ في التقليب

- سنبدأ بشهاب ...

هذا الشاب خريج لكلية الهندسة الكهربائية ويعمل في احدى المطاعم في المدينة متصوف واغلب اوقاته يقضيها بين الحضرات والذكر توفي والديه واخاه إثر حادثٍ وفي سجله الاجرامي يوجد قضية بعيدة عن واقعه تبين لنا انه زعيماً لشبكة دعارة وكان مركزها الرئيسي منزله لكن وبدون سابق انذار اغلق ملفه وخرج براءةً من السجن والغريب اكثر انه بعدما خرج بحولي سنة ونصف للسنتين غير اسمه من عابد لشهاب

اما عن صفا ..

هي خريجة لكلية الطب البشري وسجل لها حركة خروج من القطر نحو جمهورية مصر إلى القاهرة تحديداً ذهبت وعادت باختصاص الطب النسائي والتوليد وفور عودتها استأجرت منزلاً وعيادة في الوقت ذاته في المنطقة **** ولها اوراق خدمة لعدة شهور في مشفى التوليد **** منعزلة عن والدتها التي تقيم الان خارج القطر لأسبابٍ غامضة وحسب تقديري بسبب وفاة والدها التي دفع امها للزواج والصدمة القادمة هي ان هذه الفتاة متهمة بجرم اجراء عملياتٍ تخالف الشرع والقانون مما دفع القضاء لسحب شهادة الطب منها وهي الان تقيم في **** ولم تسجل لها اي حركات غريبة منذ ذلك الوقت

ميّار ..

اضطررنا للاستعانة بزملائنا في مدينة **** لأنها لا تنتمي لمدينة حلب

قبل بضع سنوات كانت تدرس في جامعة **** ولأسبابٍ اخلاقية تم فصلها بشكل قاطع من الجامعة... يعود اصلها لعشيرةٍ عربية رفيعة المستوى والمقام وقد اصدر والدها شيخ هذه العشيرة حكم القصاص في حقها ومنذ ذلك الوقت هي بحلب وبالطبع عشيرتها لا تدري بهذا الامر

منذ ان وصلت إلى حلب وهي تعمل مدرسة بغية توفير مصروفها

- هل استطاعت معرفة الاسباب التي فصلت بسببها

- نعم بعد التحري في الامر من زملائها بالكلية تبين انها قامت بعرض نفسها على احد الدكاترة المدرسين من اجل ضمان الترفع

- وهل تبين من يكون هذا الدكتور الذي عرضت نفسها عليه

- الكثير منهم رفض ان يخبرنا ولكن بطريقتنا استطعنا الوصول إليه إنه رجل الاعمال الكبير طوكيو

وعندما قام المساعد احمد بالانتقال لملف يعقوب قال له طهران

- حسناً هذا يكفي اترك لي هذه الملفات ورقياً على مكتبي شكراً لك وشيء اخر نحن مقبلين على مهمة ستكون انت مرافقي الاول بها كن مستعداً

- حاضر سيدي شكراً لثقتك بي احتراماتي

قال بينه وبين نفسه

- من المستحيل ان يصدق في قصص اصدقائه ويكذب في سيرته الشخصية فهو من الاصل لا ناقة له ولا جمل

اشعل سيجارته وكان دخانها كفيلاً ليعيده لسنواتٍ مضت

- هل سترافق الدورية اليوم في الكمين

- بالطبع يا طهران وهل يليق بغيري مثل هذه المهام

- انا قلقٌ للغاية عليك يا يوسف

- كفاك ثرثرة يا طهران فدور الام الحنون لا يليق بك مطلقاً

- اصمت انا اعلى منك رتبة عليك ان تحترمني

ضحك يوسف وباستهزاء خبط قدمه على الارض وقال

- سمعاً وطاعاً سيدي واخي المغفل

- اسمع يا يوسف خذ معك من الاسلحة الكثير وخذ ضعف عدد العناصر المعتاد يراودني شعور ان هذه المهمة لن تمر مرور الكرام

- انت جبان يا طهران انتظرني هنا لاتي لك بالمجرم ولتجلس معه وتشرعان السجائر معاً وتعمل عملك كمحقق ماهر

التفت لعملك وامور الاشتباكات والكر والفر اتركها لي انا ....

اطفأ سيجارته واشعل على الشاشة فيديو لنشرة اخبار مسجل

المذيعة: في عملية كمين محكم على اطراف المدن السورية تم القاء القبض على مجموعة من مهربين الممنوعات والاسلحة الغير مرخصة وراح ضحية هذا الكمين عدداً من الشهداء ومن بينهم قائد الكمين البطولي اثر رصاصةٍ استقرت في جمجمته

كل الرحمة لشهدائنا الابطال والشفاء العاجل للجرحى الفدائيين

وظهر على الشاشة فجأة صورة لاحد المهربين المتهمين والذين سبتت عليهم التهمة وبدأ بعده مسلسل الاعتراف المخادع

اطفئ الشاشة وبحزمٍ وغصة في صدره قال

- ايامٌ قليلة تفصلنا عن القاء القبض على المجرم الحقيقي ولن اكتفي به فقط ستندمون كلكم

استأذن احمد بالدخول وقدم له الملفات الورقية التي تسرد السيرة الذاتية لهؤلاء الفتيان

امسك الملفات وقرأها واحداً تلو الاخر كان على يقين بان هذه المجموعة هي من اصعب المجموعات التي تعامل معها في مسيرته المهنية فهو يتعامل الان مع اشخاص نستطيع نعتهم بالفلاسفة البؤساء

هذه المجموعة بعكس باقي المجموعات الفدائيين المتحمسين لحمل السلاح والنزول لساحة المعركة ..هذه المجموعة قد رفعت الرايات البيضاء قبل

قرع طبول الحرب ..هم تخلوا عن قلوبهم وعقولهم للماضي لعدم قدرتهم على حملهم فكيف لك انك تريد اعطائهم بندقية ! .....

وصل شهاب بالموعد المحدد لمنزل يعقوب وكان بانتظاره هو والعم مصطفى

- اخبرني يا يعقوب هل قدومي مبكراً ام ان الحضور متأخر

- لا انت قد جئت في الوقت المناسب

طرق الباب فعقب مصطفى على كلام يعقوب وقال

- وهم كذلك ايضاً

فتح الباب مصطفى وكان ظنه في مكانه استقبل ميّار وصفا بابتسامةٍ ابوية دافئة

-كلنا نستعجل وقت رحيل يعقوب ايها العجوز لكن اراك اكثرنا استعجالاً حتى جئت قبل رحيل يعقوب لاستلام منزلك

اضاف شهاب لمزحة ميّار قائلاً

- لعله يريد تأجير المنزل فمصاريف النيكوتين والادوية لا ترحم

ضحك مصطفى ثم قال

- لا مطلقاً يعقوب لطالما كان بمثابة ولدٍ لي ولم افكر مطلقاً بأمور المال والاجار الشهري إضافةً لذلك لن يسكن احد في هذا المنزل بعد خروج يعقوب منه هو منذ اللحظة التي سكن هنا اصبح المنزل ملكه

- نعم الجار والاب والقدوة انت يا عم

شهاب وكعادته

- سأذهب لأعد القهوة من يريد

فقالت صفا ابتسامةٍ فكاهية كلنا

- لولا وجودي معكم لكان الجوع اقام في بطونكم واستوطن

اتجه شهاب لإعداد القهوة وسرحت صفا بحديثها مع مصطفى

وبقي في الميدان يعقوب و معشوقته

- ماذا تريد منّا يا يعقوب لماذا دعوتنا من جديد

- الم تخبرك صفا

- اخبرتني بما صدقته هي كونها صفا وليست ميّار

كان يعلم يعقوب ان مثل هذه الحجج لن تمضي بسلام امام ذكاء ميّار ولكنه استغل فضولها لكي تأتي ولباقي سيتولج امره مصطفى

- اخبرني إذاً ما الامر

- الصدق انني اعطيتك الشفع الاول من الطلب اما الشفع الثاني فهو اريد ان تصحباني لمحطة الانطلاق

- ولماذا

- احقاً لا استحق عناء الذهاب يا ميّار

- حسناً سأذهب معك ليس محبتاً بل اكتشافاً لما تريد فانت تريد اكثر من ذلك

- شكراً لوعيك الثمين

- العفو من حججك السخيفة

- هل تعلمين ماذا .. سأشتاق لك كثيراً

احتاج الامر الكثير من الشجاعة لنطق يعقوب بتلك الكلمات وميّار ايضاً كانت شجاعة عندما سمحت لدموع عينيها بالسقوط

ويا لجمال عينيها عندما تبكي

لبرهةٍ من الزمن تحسبها قد استحوذت على انهار الارض كلها ببريقها وشمسها ورائحتها ويا لجمال رائحة المياه العذب كانت دموع ميّار لا تقل جمالاً عنها

- لماذا تحاول دائماً اظهار الطفل الذي سجن داخلي منذ زمن يا يعقوب اخبرني لماذا

انت تعلم جيداً ان فراقك لن يمر مرور الكرام على قلبي ومنذ اليوم الاول وانا اكابر ولكن لماذا لان وفي اللحظات الاخيرة جعلتني مكسورةً في عينيك ، نكرة في معشر الاقوياء

انت تعلم انك تارةً طبيبي وتارةً صديقي وتارةً كل ما املك فلماذا تريد ان ترا هذا بعيوني وانت تلمسه في عقلي

كان هذا الكلام كفيلاً لجعل ذلك الجبل يرتعد كانت هذه الحروف كفيلة لأسقاط اقوى ملكٍ من على عرشه قادرة على تغيير النظام الكوني لحياة سامعها كانت تارةً تقتل وتارةً تداوي

وقد اختارت هذه المرة ان تقتل .. تقتل بقوة كل جرحٍ قديم استوطن على قلب يعقوب

وقبل ان يتكلم قالت

- لا تبحث عن اجابة فانا اعتدت على اسلوبك هذا ويعجبني جداً

نحن لا نحتاج النصيحة لحل ازماتنا بقدر ما نحتاج لسامعها

انا لا ابحث عن اجاباتٍ روتينية يا يعقوب فقد حفظتها عن ظهر قلب ... ستستمر في الصمت اليس كذلك

- الصمت يكسيك ثوب الوقار ويكفيك مؤنة الاعتذار

- كرم الله وجه حامل ذو الفقار لطالما ينجيك بحكمته على اي حال هذا ما انتظره منك دوماً فـ ارجوك لا تفقده وحاظ عليه حافظ على صمتك يا يعقوب من اجلي

- اعدك بهذا

جاء شهاب وهو يحمل القهوة ولاحظ الدموع التي على وجنتي ميّار فقام بنقل عينيه لجهة اخرى كانه لم يرى شيء وهي ايضاً همّت بمسح دموعها على الفور

توجهت صفا للمجلس ومصطفى ثم قالت

- سمعت ان نتائج التوجيهي هذه السنة لم تكن مرضية بالشكل الكافي لوزارة التربية

قال شهاب وهو يختلس سيجارة من علبة يعقوب

- وما هي العلامات التي تنتظرينها من شبابٍ فقدوا الشغف قبل الحصول عليه وصلوا لسن الاكتهال ولازال عامهم العشرين لم يأتي

منهم من يعين عائلته بلقمة العيش ومنهم من يعين نفسه

كان الله بعونهم فقد ذاقوا علقم الحية قبل حلوها تألموا بشوك الزهرة دون استنشاق رحيقها

موافقاً لكلام شهاب قال يعقوب

- بالرغم انك تختلس السجائر لكنك حكيم قولك

المشكلة انه ما حدث في السنوات الاخيرة جعل فئة الشباب في المجتمع فاقدة للشغف اتجاه كل شيء فقدوا الشغف اتجاه الحياة وامالها وامانيها اغلقوا على انفسهم ابواب الحزن وجلسوا معتكفين بما حل بهم

ارتدوا الاسود حزناً على الصدق الذي مات شهيداً في رصاصة احتفال

حزناً على الامان الذي غرق في قاربٍ صغير قاصداً الهجرة

حزناً على الوفاء الذي انتزع من قلوب الناس ليقيم مكانه الحقد والكراهية

حزناً على احلامٍ ورديةٍ فارقت عقولهم كأمٍ تودع طفلها الذي ارتقى شهيداً قتله الجوع والبرد ذهبت روحه للسماء تاركتاً جسد افتقر للطعام وللدفء واحلامهم كذلك ايضاً

وبعد كل هذا الحزن استحوذ البؤس على اجسادهم وعلى قلوبهم حتى فلا شيء يسعدهم ولا فرحةٍ تستطيع اعادة البسمة لوجوههم

فقدوا ابواب السعادة كلها

- ولكن باب الله موجود فهل من طارق

- قد علمتهم الحياة كل شيء إلا هذا الامر يا عم قد غفلت عنه الحياة واولياء امورهم ايضاً انه يوجد من هو اقرب إلينا من حبل الوريد

وفي هذه الاثناء نظر شهاب إلى الساعة التي كانت تشير إلى الثامنة والنصف

- الم تخبرني بانك ستنطلق في تمام العاشرة والنصف

- نعم وعلى ما اظن لم يتبقى الكثير من الوقت

- أتظن انك ستصل قبل الساعة والنصف هيا اذهب لتحير نفسك حينما اجلب سيارة تنقلنا

- اجعلها اثنتان .. سنذهب انا وصفا ايضاً

نظر الجميع بتعجب لميّار عدا يعقوب الذي كان واثقاً بان هذا ما ستفعله ثم قال لهم مصطفى

- حسناً نذهب جميعاً إذاً

قال له يعقوب ليبعد الشكوك عن خطتهم

- لا يا عم انت مريض وعناء الطريق سيتعبك

- لا تقلق يا بني لربما لن اراك بعد يومي هذا

- حسناً إذاً استعدوا للذهاب

قبل الانطلاق وبينما كان يعقوب في غرفته جائه اتصال من رقم مجهول

- السيارتان اللتان ستنقلكما إلى محطة الانتقال ستغير اتجاهها نحو المكان المتفق عليه اخبرك الان لكي لا تثير حالة ذعر بين اصدقائك حاول ان تركب انت بإحداهم والعم مصطفى بالأخرى لكي يحاول كلاً منكم بتخفيف حالة الذعر التي ستصيبهم وكل منكم بأسلوبه انا في انتظاركم

- وماذا إن لم نستطيع التحكم بردة افعالهم

- لا تقلق ستتصرف رجالي بخصوص هذا الامر إلى اللقاء

تودع يعقوب من المنزل ومصطفى كذلك لانهم يعلمون انهم مقبلون على طريقٍ لا رجعة فيه مطلقاً ثم انطلقوا جميعاً

الهول الثالث

لطالما كانت الامور تأخذ داخلنا حجماً

اكبر من حجمها الطبيعي

كانت تجلس على الكرسي مقيدة تشعر بالحطام الذي داهم عقلها وجعلها سكيرة دون ان تحتسي النبيذ

نظرت حولها كانت اول من استيقظ من اصدقائها المقيدون ايضاً

فجأة ظهر امامها بصورةٍ ليست بالوضوح المطلوب لتتعرف عليه رجلٌ يحمل سيجاراً وينظر إليها بكبرياء رجل مسيطر

- من انت ؟

-اهلاً بك يا ميّار سعيدٌ جداً للقائك

- انا لم أسالك عن شعورك من انت وماذا تريد لماذا نحن هنا

- ستعرفين كل شيء عندما يستيقظ اصدقائك

المحزن انكم قاومتم كثيراً حتى اضطر رجالي لاستعمال جرعةٍ كبيرة من المخدر ادين لكم بأشد الاعتذار

ذهب طهران وترك ميّار حائرة مما يحدث خائفة مما يدور حولها

باشرت بالصراخ على اصدقائها فباشروا بالاستيقاظ واحداً تلو الاخر

قال شهاب بتعب

- ماذا نفعل هنا لماذا نحن مقيدون

فقالت صفا بخوف

- هل خطفنا قد سلب جوالي ايضاً وانتم ايضاً

قال يعقوب بغضب

- لا اظن اننا خطفنا لأننا لم نركب السيارة ذاتها

قال شهاب وبغضب جعل يعقوب يتأكد ان عابد قد عاد

- وهل لديك تفسيراً اخر لما نحن عليه الان اللعنة عليك وعلى سفرك يا يعقوب

قال مصطفى

- لنتحلى بالصبر قليلاً ريثما يتضح الامر

وبعد دقائق من الجدال الحاد بين الاربعة المقيدين ظهر لهم من خلف الباب طهران وهو بكامل اناقته وبجانبه احمد واربعة من الرجال اصحاب الاجسام الضخمة

- مرحباً بكم في منزلكم الجديد سنخوض رحلةً رائعة انا وانتم اليس كذلك

نظر الجميع إليه بغضب واستفهام في آنٍ واحد

اعطى امر لرجاله بفك القيود عن ايديهم وارجلهم

وما إن فك قيد يعقوب حتى انقض على طهران يريد لكمه

فسارع الرجال الاربعة بإبعاده ولم يكن من طهران سوى ان يبتسم بسخرية من فعل يعقوب ذلك الذي يضيع جسده امام اجساد رجاله

- اللعنة عليك يا طهران اللعنة على خطتك وعلى اسلوبك النتن نحن لم نتفق على هذا مطلقاً

توجهت انظار الجميع بذهول وصدمة نحو يعقوب وبسرعة البرق انقض شهاب على يعقوب امسكه من عنقه وقال

- انت من اتى بنا إلى هنا كنت على علمٍ بكل شيء ايها اللعين اليس كذلك تكلم هيا تكلم

ببرود رجلٍ عجوز يبحث عن الرصاصة القاتلة التي ستقتحم صدره وتنقله إلى مكانٍ اكثر اماناً من الذي هو فيه قال مصطفى

- ليس يعقوب فقط على علم بما يحدث وانا كذلك يا شهاب

نظر الجميع إلى مصطفى بصدمة وهو يتكلم

- نحن من رتبنا لكل هذا يا شهاب اصبر قليلاً لتقبل جبهة يعقوب بدلاً من قتله

قالت صفا بخيبة امل

- على ماذا بالضبط على خطفنا وجعلنا رهائن وانت ايضاً لست افضل منه كلاكما غدر بنا

بهدوءٍ كان يختبأ وراءه ضجيجٍ يستطيع قلب مدنٍ راس على عقب قالت ميّار

- اما عني فانتظرك انت لتتكلم لا يهمني امر هؤلاء مطلقاً فلي معهم حساب اخر بعد حين

اعجب طهران بكلام ميّار واشاد بذكائها ثم قال

- حسناً شهاب إن لم تبتعد عن يعقوب خلال ثواني ستكون ركاماً تحت اقدام رجالي

ابتعد عن يعقوب شهاب ثم اكمل طهران قائلاً

- احسنت والان سنذهب لنتناول العشاء معاً هيا

في طريقهم إلى قاعة الضيافة كان المكان الذي يستضيفهم من المستحيل ان يكون تابع لعصابة تشليح او ما شابه ذلك للثراء الواضح على جدرانه وهذا ما كان يجعلهم في حالة صمتٍ تام

جلسوا جميعاً على مائدة الطعام ليس جوعاً إنما غايةً في أنهاء ما يحدث بأسرع وقت

بعدما انتهوا من تناول الطعام جاء الخدم الذي زادهم شك بانهم رهائن سحبوا مائدة الطعام بعيداً وذهب طهران ليأتي بما يحل مكانها

كانت لوحة مغطاة مثبتة على كرسي رسم يبدو وكأنها لوحةً فنية يود ان يعرضها عليهم

- إذاً هل انتم مستعدون لرؤية ما هو اجمل من الموناليزا

قالت له ميّار بغضب

- هل انت مغفل ؟

لا نريد منك سوى ان تخبرنا سبب وجودنا هنا

- سمعاً وطاعاً يا ميّار اولاد العشائر لا ترد لهم امنية

نظرت إليه بصدمة لا تقل عن صدمة الحضور

-حسناً اظن انكم ادركتم الان ان غايتي ليست الخطف او المال

سأكشف الان لوحتي الفنية واريد منكم التقييم

جلس بجانبهم واعطى الامر لاحد الحراس برفع الستار

ولك عزيزي القارئ حرية الرسم لهذا المشهد الذي سيطرت عليه مشاعر الرغبة بالقتل والانتقام مشاعر يرافقها صدمة كبيرة من ذا لذي جاء ليكشف عن جروحٍ قد التامت منذ زمن

من ذا لذي يعلم ان اثرها لا زال موجود

من ذا الذي يعرف طوكيو ..

كانت الصمت سيد الوجود كان يعقوب آن ذاك يقرأ تلاميح وجوههم بتمعن كان كلّاً منهم يتمنى الا ينفضح امره ويظهر عارياً امام اصدقائه البقية

- والان اريد من كل فردٍ منكم ان يقترب من هذه اللوحة ودون ان يتكلم يقوم بوضع اشارة تعبر عن الرغبة التي تراودكم هذه الاثناء

نظر الجميع لبعضهم فقالت صفا

- حسناً قد اتضح لي الامر كانت كل هذه المسرحية تخصني وحدي ذهبت للوحة وامسكت الريشة بعد مزجها باللون الاسود وقامت برسم سكين وبدقة طبيبٍ مختص جعلت نصله يخرج من الطرف الاخر لعنقه

بينما وقف شهاب وتوجه للوحة دون اي ردة فعلٍ لما فعلته صفا وقام بإضافة قطرات من اللون الاحمر على نصل السكين ورسم على جبهته عينٌ ثالثة وبجوارها نجمة سداسية

وبعد نظرٍ وصمت طويل من ميّار كانت الصدمة قد اتت بفعلها لملامح الجميع

توجهت نحو اللوحة وقامت بتجميلها بعد ما قام به شهاب وصفا اردفت قائلة

-امثاله لا يستحقون الموت بهذه البساطة

اعجب طهران بما فعلته ميّار وتأكد حينها ان هذه الفتاة هي شرارة الانتقام الاولى والاخيرة

- انا شخصياً لم اتوقع فعلٍ غير الذي قمتم بفعله والان ساترك لك الساحة دكتور يعقوب

توجه يعقوب لمنتصف القاعة بشخصيته القيادية المعتادة

- حسناً بدايةً اعتذر على اسلوب الضيافة الذي قام به المحقق طهران

ثم وجه كلامه لشهاب قائلاً

- غضبك مبرر يا عابد لكن المساجد تعلّم اشياءً كثيرة غير الحضرة التي نقوم بها الم تعلمك الحضرة ان الله قد اعد جنة لكاظم الغيظ

- من عابد ؟

- من هنا سنبدأ خطتنا الاولى .. اظن ان الامر اتضح لكم ان كلّاً منكم يعرف من هذا الرجل اليوم يجب علينا التعري من كل الاقنعة والان بعد ثلاثة عدَّات إن لم يتطوع احدٌ منكم لكشف سيرته الذاتية سأقوم انا باختيار عشوائي واحد...اثنين .. ثلا

بنظرةٍ توحي بالخوف والانكسار وبعيونٍ قد امتلأت بالدموع والترجي لعدم الكلام قالت ميّار

- يعقوب .. ماذا تفعل لماذا ماذا تريد

كانت عيون ميّار كفيلة لجعل دموع يعقوب تسقط رغماً عنه

- رغماً عني يا ميّار سيتضح لك كل شيء

حسناً قد تبين انه ما من احدٍ منكم يجرؤ على الكلام

ما لا تعلمونه يا اصدقاء انكم ورغم المسافة الاجتماعية بينكم التي كانت قاب قوسين او ادنى لا تعرفون بعضكم مطلقاً والان قد حان الوقت لبداية جديدة دون اقنعة سأبدأ الان بـ الطبيبة صفا

توجهت الانظار نحو صفا

قالت ميّار بتعجب

- الطبيبة ؟؟؟

كانت صفا تحت سيطرت الصمت التام عمّا يدور حولها وحتى وبعد اختيارها وهي بعيدة خطوات فقط عن كشف حقيقة كل شيء لم تبدي اي رد فعلٍ للدفاع عن سرٍ كتمته لمدةٍ طويلة

عجيبٌ امر ولد ادم يحاول دائماً اخفاء شيءٍ داخله يقاتل من اجله ويقطع علاقاتٍ كثيرة للحرص على توفير الامان له يبتعد عن البشر بالمجمل ويعتزل الاشياء التي قد تكون على رابطة مع هذا الامر يكتم سره ويخنق صدره ويفقد الثقة بكل من حوله وهماً منه لإفشاء سره حتى وإن كانوا في غفلةً عنه لكن شعور الخوف وقلة الثقة دائماً ما يحاوطونه من كل الاتجاهات التي لربما تكون طريقاً لأمانه وربما لا

وختاماً وبعد كل هذا الحطام الداخلي تراه قد شرّع الرايات البيضاء مستسلماً لأمر الواقع احقاً هي نهاية رجلٍ شجاع ام ماذا ؟

وفجأة وبدون سابق انذار وقفت صفا وقالت

- انتظر يا يعقوب سأتكلم كل شيء فهنالك بعض الاشياء انت ذاتك لا تعلمها وقد حان وقت كشفها

لم يتعجب يعقوب من ما قالته فهو كان يعلم انها لم تخبره الحقيقة كاملةً

حسناً سأتكلم من الصلب الذي يربطني بهذا اللعين وغير ذلك لا اظنه مهماً بالنسبة لكم

- عندما عدت من القاهرة اتخذت قراراً ان اعيش باستقلالية لوحدي وخصوصاً بعد غياب والدتي المتعمد

ورغم كل المصاعب التي تعرضت لها والتي كانت كفيلة لجعل اسمي على قائمة الانتحار السنوية

قاومت وصنعت من رفاتي صخراً صلباً لا يقهر

قبل ان ابدأ اود ان اعتذر منك يا يعقوب لأنني لم اكن صادقةً بكامل سردي معك والان ستظهر الحقيقة جليّاً امامك

الجزء من حكايتي الذي اخفيته عن يعقوب والذي هو الان صلب قضيتكم التي لا اعلمها هو ان طوكيو يكون زوج امي

صدمة الحاضرين كانت كفيلة لجعلها تبتسم من فرط التعب

اكملت حديثها قائلة

- بعدما توفي والدي بمدةٍ ليست بالطويلة قررت امي ان تتزوج من هذا الرجل ولو كنت اعلم انه سيكون سبباً لإنهاء حياتي لكنت عارضتها لا وبل كنت غصبتها على الرفض لكنني فعلت العكس تماماً كنت مسالمتاً معها لأبعد حد ولم ارفض الفكرة ابداً بشرط ان لي استقلاليتي في العيش وهو غير مكلف او موكل علي مطلقاً وقد وافقت امي على هذا

تزوج من والدتي بالفترة الاولى كان رجلاً مسالماً معي لا يتدخل بشؤون حياتي مطلقاً وانا كذلك لم اكن ذات دمٍ ثقيل على حيات امي الزوجية الجديدة كنت دائماً انتهي من جامعتي واتوجه لغرفتي مباشرةً حتى يراودني النعاس واسقط في فراشي باكيتاً فراق ابي ، وبعد عدة اشهر قرر طوكيو ان يشمر عن مخالبه ويخلع القناع الذي كان يغطي فيه نتانة نواياه الخبيثة

في بداية الامر كانت تراودني فكرة انه يحاول ان يعوضني عن ما فقدته من حنان الابوة لكن ما حدث خالف حسن نواياي

وفي احد الليالي الصيفية الحارة كنت جالستاً في غرفتي وفجأة سمعت صوتً امام غرفتي وجهت انظاري نحو الباب رأيته ينظر لي نظرة لمفترس لفريسته الطازجة

تلعثم لسانه حينها وارتبك وصفر لونه وقال انه جاء ليطمئن على دراستي ويسألني إن كنت احتاج لمساعدته كونه مدرّس في الجامعة كنت اعلم حينها انه كاذب وانه كان يراقبني بخبث لكن حفاظاً على علاقته مع امي كتمت الامر في نفسي ورفضت مساعدته بحدية مني

ازدادت افعاله نتانةً اكثر فاكثر حتى جاء ليومٍ من الايام واقتحم غرفتي دون سابق انذار وقام بالاقتراب مني حتى راودني عن نفسي وطلب مني بأسلوبه الشيطانية ان نفعل ما لا يرضاه ربي

حينها قمت بضربه بكل شيء صلب كان بجواري ولم اتوقف عن الصراخ حتى اتت امي اخبرتها بما حدث والصدمة كانت انها كذبتني وقالت ان الجامعة هي من ادخلت هذا الفكر النتن إلى دماغي ومخيلتي اقسمت لها كثيراً انه من قام بالتحرش بي وهي لم تصغي لكل مقدساتي التي اقسمت بها لا وبل لم تعد تكلمني وجافتني جفاءً قاسياً حينها

تحطمت كثيراً عندما رأيت افعاله تزداد يوماً بعد يوم وامي في غفلةٍ عن كل ما يحدث

حتى اتى اليوم الذي تخرجت منه من كلية الطب ادخل هذا اليوم لحياتي المظلمة قليلاً من النور مما جعلني استبشر خيراً للأيام القادمة

وفي ليلةٍ من الليالي وبدون سابق انذار عند عودته للمنزل هممت ذاهبتاً لغرفتي فأوقفني وقال لي

-انتظري قبل ان تذهبي اود التحدث معك بأمر لعله في خاطرك

وقفت اسمع له غير مبالية لما سيقوله لكنني اردت تجنب الخلاف مع امي

- اسمعي جيداً يا صفا استطيع من خلال منصبي ان اؤمن لك طريقاً للسفر والاختصاص خارج البلاد وهنالك ا جامعة في القاهرة مستعدة لاستقبالك وانا سأتكفل بكل شيء

- كانت هذه الفرصة بالنسبة لي هي الخلاص الوحيد منه ومن امي التي اصبحت في الايام الاخيرة ثقلاً عليها وعلى زوجها وهذا كان واضحاً جداً في ملامحها لذلك اخبرته ودون تردد انني موافقة والغرب الجميل في الامر ان امي لم تعارض ابداً على العكس تماماً تبين لي انها وهو قد ناقشا الموضوع كثيراً

سافرت إلى القاهرة وكما توقعت انقطع السبيل إلى امي وهي من قطعته

لن اطيل الحديث عن ايامي في القاهرة

عدت من القاهرة وانا اقوى من ذي قبل عدت وكنت قد ادخرت نقوداً تكفي لفتح عيادة مستقلة عن امي لكي لا اعيش مرارة الماضي من جديد

بحثت عن امي كثيراً كانت قد انتقلت من منزلنا الذي لم يعد كذلك

ما جناه ابي طيلة حياته .. غرفتي ومكتبي وذكرياتي قد فرطت بها امي وباعتها

وجدت عيادةً في احدى الاحياء الشعبية واتخذتها منزلاً وعيادةً لي

وجدت عملاً في احد المشافي كطبيبة مناوبة ونظمت برنامجاً لحياتي اقضيه بين المشفى والعيادة والنوم

بعد عدة اشهر من عودتي استيقظت على كابوس جعل حياتي اشد قسوةً اكثر من اي وقتٍ مضى

جاءت مريضة تريد ان اجري عليها عملية اجهاض لجنينٍ قد وهبه الله شهيقاً وزفير وهذا الفعل اخلاقياً وشرعاً محرم فمن قتل نفساً كأنما قتل الناس جميعاً

قاطعها يعقوب

- من تكون هذه المريضة يا صفا

- اخبرتك من قبل عن اسمها كانت رغد على ما اذكر

انتفضت العروق في جسد ميّار وقالت بصوتٍ مرتجف

- وهل هنالك اي صلة تربط هذه الفتاة بطوكيو

- نعم وما ادراك

- أظنني اصبحت قادرة على تفسير ما سيحدث حسناً اكملي

- هل تعرفينها

- عندما يحين دوري ستعرفين كل شيء

-عندما رفضت اجراء هذه العملية قامت هذه الفتاة بتهديدي بانها ستخبر احد اصحاب النفوذ والسلطة في هذه البلاد وهو سيتولج الامر وبالطبع كان رد فعلي بغاية البرود وعدم الاهتمام

وبعد عدة ايام جائت ذات الفتاة وبرفقتها ذاك الرجل

والصدمة انني كنت اعرفه كان هو بخباثته وقذارته كان طوكيو اللعين

كانت صدمته لا تقل عن صدمتي بمثقال ذرة وبطرفة عين عدل ملامح وجهه ليظهر جبروته من جديد ثم قال

- ها قد التقينا من جديد يا صفا

- شخصٌ بقذارتك متوقعٌ منه كل شيء لن اسالك عن فعلتك النتنة هذه بل سؤالي سيكون عن المغدورة امي اين هي من افعالك هذه

- لا اظن انه الوقت المناسب للحديث عن مدمنة مخدرات الان

- ماذا تقول انت امي المخدرات لا يجتمعان في بندٍ واحد

- وبشطارتي استطعت جمعهم هم الاثنين في مصح التعافي من المخدرات

لا دري لماذا كانت ردة فعلي باردة لما حصل مع امي ربما قد اورثتني من صفاتها القسوة ربما كان هذا رد فعلٍ لما فعلته معي في كل تلك المدة وبالرغم من انها فعلت معي ما فعلت من جفاء واهمال كان قلبي يلهف شوقاً لرؤيتها لكن وبعدما عرفت انها باعت منزل والدي تصلب قلبي واقسمت ان لا ابحث عنها لعد تلك اللحظة ومن ثم جائتني الصدمة انه جعلها مدمنةً للمخدرات

هذا الرجل باستغلاله لمنصبه يستطيع فعل اي شيء يحلو له

لذلك كنت على يقين بان غيمته لن تمر بسلام

وحدث ما كان متوقع بعد رفضي القاطع للأمر الحقني طوكيو بتهمة اجراء العملية ذاتها

وبعد خوض حرباً كبيرة داخل المحاكم اصبحت انا المجرمة بعين القضاء والعدل وبالطبع كان لنفوذ طوكيو جهد كبير جداً

جردت من مهنتي وشهادتي واصبحت كائناً منبوذ فقد خونني دار العدل ودار العدل لا يكذب

تلك علاقتي مع طوكيو اتمنى ان تكونوا قد استمتعتم بقصتي

اين زنزانتي اقصد غرفتي

اشار لها طهران على غرفتها وانسحبت من المجلس تاركتاً الصمت يحل مكانها

نظر طهران لهم وقال

- يمكنكم التوجه لغرفكم والان لا احتاج اي تحليلٍ منكم لقائنا غداً مع قصةٍ جديدة وللحديث بقيا

الهول الرابع

وإذا الموءدة سألت بأي ذنبٍ قتلت

في صباح اليوم التالي استيقظ الجميع على صوت طهران المنادي لهم

كان هذا الصباح مختلفاً بالنسبة لهم فجميعهم مقبلين على حياةٍ جديدة مقبلين على معركةٍ العدو فيها لا يقهر على مغامرة تعتبر من اقوى المغامرات التي خاضوها في حياتهم فبالرغم من كم الشقاء الذي مروا به جميعاً هم على يقين انه ما سياتي اشد واعظم قسوةً من ما مضى

- اتمنى ان تكونوا قد استطعتم النوم جيداً فنحن مقبلين على يومٍ طويل

- اما عني فقد نمت بشكلٍ جيد بشكلٍ لم يراود وسادتي منذ زمنٍ بعيد

نظر الجميع إلى صفا بتعجب ومن ثم قالت لها ميّار

- ومن اين لك بهذه الطاقة الايجابية دكتور صفا

- يستحيل ان افرغ طاقتي الايجابية في الرد على سؤالك سأكتفي بالنظر للطبيعة وبالصمت واتمنى ان تفعلي انت الامر ذاته

كان الجميع يراقب الجدال بين ميّار وصفا وقبل ان يشتد النقاش بينهم اكثر قال لهم طهران

- احتفظوا بحروفكم لجلستنا بعد الافطار هيا بنا

كانت ميّار محقة بشأن الطاقة الايجابية التي امتلكتها صفا منذ ان استيقظت والفرق بينهم هو ان ميّار لم تتفوه باي كلمة عن علاقتها بطوكيو ولو تكلمت لكان حالها كحال صفا

فبعض الاحيان يكون الكلام في داخلنا اثقل من التنفس من خرم ابرة

الصمت عن الحقيقة امرٌ يصعب على اي بشري تحمله

الكتمان في بعض الامور يجلب الشقاء للنفس وشتان بين شقاء النفس والجسد ، الاستمرار في التمثيل على من حولك يجعلك دائماً تشعر بانك ملاحق وعليك الهروب، ملامح الخوف دائمة الظهور على وجهك وانعدام الثقة يجعلك اشد ضياعاً لدرجة انك تخاف ممن يلقي عليك السلام تسال بينك وبين نفس يا ترى لماذا القى السلام لماذا اختارني انا بالذات هل يعرف شيءً ما عني ويحاول التقرب مني ويكون انه كل ما في الامر انه القى السلام ومضى لكن ما تخفيه داخلك جعلك سجين الوهم

وهذا حالهم جميعاً اما بالنسبة لصفا فقد تحررت من كتمانها واصبحت طليقة في سماء تعري الذات من الخبايا تحررت من خوفها اسقطت الاقنعة عن ملامحها لتظهر بطابعها الاصلي لتظهر بكامل النقاء والصفاء

لتعيش بشكلٍ افضل

اختر دوماً ان تظهر كما انت بما انت بحقيقتك بالكون الذي يكمن داخلك بقضيتك الازلية وبمشاكلك اللا منتهية وبمحاسنك المعدودة وبملامحك الاصيلة وبعيوبك وبعقدك النفسية تعرى امام الملأ وحافظ على نقاء الكون الذي يكمن داخلك ولا تعكره بوهمٍ انت من صنعته وانت وحدك تستطيع كسره ...

على مائدة الفطور

وهو يتناول الطعام غير مبالي لنظرات من حوله قال طهران

- حسناً هل رشحتم احداً منكم اليوم لسرد علاقته مع طوكيو

نظر إليه عابد بغضب وقال

- هل يمكنك ان تختار اسلوباً غير هذا الذي تتعامل معنا به وكأننا مدانين وانت القاضي الذي سيطلق الحكم علينا

غير مبالٍ لكلامه قال

- حسناً اظن ان عابد قد رشح نفسه الان واليوم سيكون هو يوم عابد

قالت ميّار موجهةً كلامها لمصطفى

- وانت يا عم ما هو اسمك الحقيقي صحيحٌ يا يعقوب هل انت كذلك تستخدم لقب خاص بنا ام ماذا

نظر إليها يعقوب مبتسماً ببرود وقال

- تحلي بالصبر يا ميّار ولا تكوني عجولة فاليوم دور عابد وغداً سيأتي دورك

توجه الجميع إلى قاعة القصر الكبير ليبدأ عابد بسرد ما عنده من كلام

بعد ثلاث ساعات

خرجت صف من الغرفة لتزرع الطمأنينة في قلب طهران الذي ظن للحظات انه فقد السيطرة على المجموعة

- اخبريني يا صفا ما هو وضعه الصحي

- اطمأن إنه بخير لكن اخراج الطلق الناري بدون مخدر لم يكن بالأمر السهل لأنه فقد الكثير من الطاقة ويحتاج إلى الراحة الان

- شكراً لك ايها الطبيبة صفا

ابتسمت ومضت

القى نظرة على عابد من خلف زجاج الباب ومضى متوجهاً إلى القاعة التي كانت قبل ثلاث ساعات تعم بالهدوء والسكينة ولمجرد ان توضحت بعض الامور لميّار من قصة عابد لم تتمالك نفسها اخذت السلاح الناري من ايدي احد الحرس الموجودين وقامت بأطلاق النار على عابد ليصاب بيده بعدها

نظر طهران بغضب إلى الفتاة المقيدة امامه وقال

- اسمعيني جيداً يا ميّار انا جمعتكم هنا من اجل تحقيق العدالة لي ولكم وللبلد انا لا احتاج لمجرمين في مجموعتي وانت الان مدانة بجريمة اعتداء والشروع بالقتل إن كنت تمتلكين شخصية تملك من القوة ما يكفي لجعلك تستخدمين السلاح اذهبي لطوكيو واقتليه ام ان جينيات الاستضعاف تسير في عروقكم ونظام الغابة قد استحوذ عقولكم

- اسمعني جيداً يا هذا قبل ان تدينني بتهمةٍ ما ، تذكر انك المتهم الاول في وجودنا هنا انت من خطفنا وانت المتسبب الاكبر بكل ما يحدث هنا واما عن تحقيق العدالة مع من تريدني ان احققها معك انت الخاطف ام مع يعقوب الذي هو المخادع الاكبر بينكم ام مع صفا التي سكنت معي وتقاسمنا الفراش ولم تؤمني على سرها ام مع ذاك اللعين الذي كان سبباً لتدمير حياتي وتحويلها إلى كابوسٌ ازلي ، نحن لا نستطيع الاتفاق مع انفسنا ننقلب على معتقداتنا بين الحين والاخر نؤمن بأشياءٍ في الصباح ونكفر بها بعد منتصف الليل فهل تريدنا ان نتفق مع بعضنا البعض

صحيحٌ ان عدونا واحد لكننا قبل ان نقاتله علينا ان نقاتل العدو الذي يعيش داخلنا...

نطقت ميّار كلماتها الاخيرة وانهارت بالبكاء كان الصمت بعدها سيد الوجود

وبعد بضع دقائق واخيراً نطق يعقوب بعدما طلب من الحرس فك قيود ميّار

- الان قد انتهينا من حكاية عابد الحمد لله ان الطلق الناري لم يسبب اذى كبير له والان اطلب منكم جميعاً ان تتوجهوا لغرفكم وان تتعاملوا مع بعضكم البعض بشكلٍ طبيعي لحين تحديد موعد الجلسة القادمة

توجه كلّاً منهم لغرفته عدا مصطفى الذي كان ولازال منذ البداية صامتاً

جلس بجانبه يعقوب وقال
- اخبرني يا عم ما رأيك بما حدث

- ارى ان الامور تسير كما اردنا لها ان تسير

- وكيف فلولا لطف الله كان عابد الان في تعداد الموتى

- وهل كنت تظن ان ميّار ستبدي رد فعلٍ اقل مما حدث ، على العكس تماماً الان قد تخطينا حاجز كبير وهو ثورة ميّار المتوقعة

وما علينا سوى ان ننتظر حتى تهدأ وتستقر عاطفتها ريثما يتحسن الوضع الصحي لعابد وبعدها نكمل ما بدأناه

هز رأسه موافقاً لكلام مصطفى وتوجه نحو الشرفة ليتابع تفسيره لما حدث وليفكر بما سوف يحدث

ومن منتصف شروده اخرجه طهران

- لماذا اخترت البقاء لجانبهم على ان تسافر وتكمل حياتك يا يعقوب

- دائماً ما كانت الحياة تفرض علي مجريات الاحداث والوقائع دائماً ما كنت انا الابن المطيع لأوامر القدر واليوم جاءت الفرصة لي لاختار قدري لأتحمل مسؤولية ما يحدث لأنني انا اخترته

وعندما أتيحت لي حرية الاختيار هل تريد مني ان اكون انانياً

هم الان بحاجتي اكثر من اي وقتٍ مضى وما اجمل شعور ان تكون قادراً على مساعدة احدهم ان تكون حرف ربط في مجريات حياتهم لا نكرة ان تكون ان الملاك الحارس لأحلامهم ..

ابتسم طهران بوجه يعقوب موحي له بصدق قوله ، ساد الصمت بينهم قليلاً ثم قال طهران

- لن نستطيع اكمال ما بدأناه حتى تعافي عابد بشكلٍ كامل والامر سيستغرق بضعة ايام ما رأيك ان تكون طبيبي الخاص لحين تعافي عابد يا يعقوب ، اظن انك ستفي بالغرض لحل بعض العقد العالقة في دماغي او لسماعي على الاقل

- لا املك مبرراً للرفض انا على اتم الاستعداد متى ما اردت

- حسناً انتظرك عند منتصف الليل في الطابق العلوي في غرفتي

ذهب طهران وترك يعقوب متعجباً من التوقيت الزمني الذي اختاره لبدء الجلسة

بعد الكثير من الصبر والانتظار اسأل نفسي

هل هي ابتلاءٌ من الله احبني فيه ام عقابٌ ازلي لانهاية له

ام حالةٌ سرمدية الهوى والعشق لا مفر منها

ام إشارةٌ من الله لتحطيم قواعد بنياها خاطئ

ام مذهبٌ واصبحت احد المريدين المتصوفين المطيعين لأوامره

ام هذا هو الحب الذي اراد اسلافنا اظهاره لنا في كلماتهم العابرة

هل هي من غنت لها ام كلثوم غلبني الشوق

ام من كتب لها نزار قباني هل ارحل عنك وقصتنا احلى من عودة نيسانِ ، لا ادري من تكوني يا ميّار لكنني متأكد من كونك محور مستقبلي وازمنتي كلها

سمعت منك بعض الكلام الذي لم يرضي وجداني واتهمت بالخداع والله يعلم انني فعلت كل هذا لجعلك تزهرين من جديد

لتستردي حقوقك من والديك ومن عشيرتك لجعل حياتك انت وصفا وشهاب اكثر انتظاماً واستقراراً والله يعلم انني احبك ..

خزن حروفه في المذكرة واغلق هاتفه وذهب ليستريح قليلاً

فقد كان يوماً شاق بدنياً وفي انتظاره مساءً مشقة نفسية لربما تكون اكثر قوة

الهول الخامس

استطاع المنافقون صنع الكثير من الاقنعة لتجميل عيوبهم

واخفاء الاصول الابليسية التي تكمن داخلهم

إلا الخيانة ..

فهي لا قناعٌ يجملها ولا فلسفة تبرؤها ولادينٌ يتبناها

كان يجلس خلف مكتبه دخان سيجاره اعطى نكهةً فريدة للظلام المنتشر حوله امسك هاتفه وقرر ان يعدل مزاجه اكثر وجود صوت ست الطرب ام كلثوم

طول عمري بقول

لانا قد الشوق

وليالي الشوق

ولا قلبي قد عذابو

وقبلتك انت لاقيتك

بتغير كل حياتي

معرفش ازاي حبيتك معرفش ازاي ياحياتي

وفي هذه الاثناء طرق يعقوب الباب مستأذناً بالدخول

- على موعدك يا يعقوب لم تتأخر ابداً

- ان تكون صادقاً بقدومك على موعد اللقاء فهذا يعني انك ستكون صادقاً بكلماتك مشاعرك نقدك وتضامنك اثناء الجلسة

ساد الصمت بينهم حتى قال طهران

-هل تظن اننا سنستطيع الانتقام من طوكيو مع مجموعةٍ من البؤساء امثال اصدقائك

-في البؤس تكمن طاقة إذا تحررت ما من قوةٍ على الارض تستطيع ردعها

لكننا اتفقنا ان نتحدث عنك لا عن طوكيو

ابتسم طهران بوجه يعقوب والتزم الصمت مستمعاً لام كلثوم

اهل الحب صحيح مساكين

ياما الحب نده على قلبي مردش قلبي جواب

ياما الشوق حاول يحيلني وأقلو روح يا عذاب

ياما عيون شغلوني لكن ولا شغلوني ألا عيونك انت

دول بس ليخدوني وبحبك امروني

امروني احب لقتني بحب وادوب في الحب

-اتعلم يا يعقوب لماذا اخترت ان نجلس في هذا الوقت من الليل

- تعجبت من الامر لكنني اظن انك تريد ان نكون بمفردنا دون ضجيج الخارج

- منتصف الليل

مرحلة تنتقل بها من عالمٍ إلى اخر

ينتقل فيها العقل من مرحلة التخدير إلى مرحلة الانتفاضة

هي المرحلة ذاتها التي نبرء انفسنا فيها من كل خطأ ارتكبناه فيما قبلها

نواجه بها افكارنا ومعتقداتنا بكل قوة وثبات ولا بد ايضاً من مواجهة خيبات الامل والهزائم بقلوبٍ منكسرة دون خوفٍ او قلق من ابداء راي احدهم بها إن كانت تستحق كل هذا البؤس ام لا

في هذه الساعات لا نحتاج لتبريراتٍ عن ما ارتكبناه بحق عقولنا

ولإتمام رحلتنا بقوة لا بد من انقلابٍ على مشاعرنا وعاطفتنا اتجاه كل شيء

نقترب من الله دون ظن الناس بان سبيلنا الرياء

نخرج كل الفلسفة من داخلنا دون انتظار النقد الهدام

والاجمل من ذلك اننا نعترف باننا نحمّل انفسنا اوزاراً من العقد لا ناقة لنا فيها ولا جمل

وفجأة ودون سابق انذار يعود الصباح من جديد لتعود معه الاقنعة ويشرع عن ستار المسرح الكبير ليعاد العرض من جديد

وتمضي الايام بين قيود قبل المنتصف وعالمٍ غامض بعده ولهذا السبب اخترت ان يكون اللقاء في هذا الوقت من الليل لتشاركني انتفاضتي اليومية ولتسمع مني ما يدور في رأسي من كلام دون تجميل او اخفاء وتذكر إذا حضرت لي في الصباح ستراني أتبرء من كل حرفٍ نطقته في الليل

- هذا هو الطبع البشري يا صديقي

وقف طهران من خلف مكتبه وتوجه نحو الاريكة مستلقياً عليها

اشعل سيجارته بعدما انتهت الاولى مباشرةً كان النيكوتين هو وقود الة الزمن التي تكمن في دماغه والتي ستعود به إلى كل وجعٍ لامس قلبه وخيبةٍ ساهمت بتحطيمه وكسرٍ لم تجبره نعمة النسيان ..

هل تعلم يا يعقوب

ان العلاقة التي تكون انت فيها الطرف الضعيف ، الطرف الاكثر تضحية ومشقة وارهاق ، العلاقة التي تجعلك تشتت ذاتك إرباً

العلاقة التي تكون فيها دائماً الطرف الذي يطلب الود .. الاهتمام .. الحب والعطف ، هي حتماً انتحار فكري لمعتقدات ومبادئ وقيم

فالحب لا يطلب لا يأتي خلف عتاب لا يأتي اشفاق

الحب يخلق في القلب فجأة كما انه يموت فجأة ايضاً

مثل هذه العلاقات ترهق الروح وارهاق الروح خطيئةٌ يعاقب عليها الرب

البشري السوي يطلب الحب ليهرب من همومه لا ليصبح مصدر همومه

هل تعلم يا يعقوب إن الحب ليس اعمى ولكنني اصبحت اعمى بمن احببت

الظروف والانشغال كذبة يا يعقوب

الانسان لو احب جعل من وقته كله لأجل من احب دون ان يشعره بانشغاله ابداً أليس كذلك

- لا تستطيع اطلاق الحكم بالمطلق يا طهران لكن دائماً ما يكون الاتزان في العلاقات هو سيد الاختيارات

- وهذا ما كنت افتقده معها بالضبط الاتزان ...

ابتدأت قصتي معها عندما وصلت للمرحلة الجامعية وكلنا يعلم يا يعقوب ان التحرر من سجن الثانوية ومعانقة حرية المرحلة الجامعية امرٌ بغاية الجمال الرعشة التي كانت تراود قلوب كل من تذوقها يصعب وصفها وكنت ارى هذا بعيون من انضموا معي لهذه المرحلة لكنني كنت مختلف يا يعقوب لم يختلف الامر علي كثيراً لا وبل لم اهتم لهذا اطلاقاً ملامحي كانت اكثر من ان توصف بانها باردة معكر المزاج دائماً لا اطيق التحدث مع احد اخترت ان ابدأ هذه المرحلة كما فرضت علي الحياة دوماً ان اكون لوحدي وبالفعل استطاعت ملامح وجهي الشاحبة ان تبعد عني كل من حاول الاقتراب من حرمة عزلتي

ومضت الايام وانا ملتزمٌ بما بدأته اذهب ومن ثم انتهي من المحاضرات واخرج على الفور

فقدان الشغف يا يعقوب امرٌ اصعب من الموت

ان تكون ميتاً وانت على قيد الحياة ، ميت المشاعر والاحاسيس

ميت الفرح ميت الابتسام ، تدرك حينها انك حقاً كتلة تسير على الارض لا ناقة لها ولا جمل بمتاع الحياة

وانا كنت كذلك كنت دائماً ما احاول تغيير مسار حياتي وتلوينها بشيء من الوان الحياة لكنني كل ما حاولت تراني ارتطم بشيءٍ ما يعيدني إلى نقطة الصفر لأجدد عهد عزلتي من جديد

ولكن كان هنالك شيءً ما يا يعقوب قد اختلف وهذا الشيء رغم انه حدث فيني لكنه خلق بداخلي شيء من التعجب

شخصٌ مثلي يا يعقوب ارهقته الحياة بمشاغلها

وكان اخر ما افكر فيه على هذا الكوكب هو الجنس الاخر ملاحقة الفاتنات او النظر إليهم حتى كان امراً يبعد عن عقليتي بعد الشمس عن الارض

لكنني وفجأة ودون سابق انذار اصبحت كثير النظر لاحداهن

لا ادري لماذا قررت فعل ذلك وانا على يقينٍ تام بان دستور حياتي يرفض الارتباط باي فتاة او شيء من هذا القبيل

لكنني كنت اعصي ذاك القانون وانا على يقين بانني احطم شيء ما بداخلي حافظ على اتزان حياتي لسنوات

كان يزداد هذا العصيان كلما اختلست النظر إليها واجدها هي ايضاً تطيل النظر إلي كنت اشعر بداخلي بسعادة غامرة دون ان اظهر هذا على ملامحي التي عاهدت الجفاء بان لا تفارقه ابداً

مضت الايام يا يعقوب وانا على هذا الحال

- الم تكلمها ابداً

- ولم احاول معرفة ما هو اسمها حتى كنت اجد ضالتي بالنظر إليها ولم افكر يوماً بالاقتراب منها ابداً كانت تعجبني هذه الطريقة كنت احافظ على جمالها بعيني وانا بعيد

انا يا يعقوب اخاف من الاقتراب من الاشياء التي تعجبني

اخاف الاقتراب من الاشياء التي احبها لأنني على قناعة بانني لمجرد اقترابي ستختفي وستتحول النعمة البعيدة إلى لعنة قريبة

الجميل يا يعقوب انه لمجرد النظر إليها استطاعت تغيير شيءٌ ما بداخلي اصبحت اقل انطوائية وعدوانية من ذي قبل اتحت المجال لمن اراد ان يقترب مني وبالفعل حصلت على بعض الاصدقاء

- هذه هي رياح الحب يا طهران تستطيع قلب موازين حياتك دون ان تدري تنقلب على ذاتك وتغير من شخصيتك من ما تفضله وما تكره حتى ، تجعلك تستمع لانغامٍ ما كنت تطيقها وترتدي ملابساً لا تناسب زيك المعتاد وتنظر للحياة نظرةً كنت كفيفاً عنها من قبل

تجعلك ترى الامور اكثر بساطةً مما تعتقد وتبسط لك الطريق إلى المحبوب دون ان تدري وتجعلك تحب الحياة لمجرد انك احببت شخصاً واحد تخيل يا طهران شخص واحد قادر على تغير كل تلك الامور دون ان يفعل اي شيء كل ما يحدث . يحدث بالفطرة وهذه هي فطرة الحب

- اصبت لكن شخصٌ مثلي حرمت عليه الدنيا متاعها قد تراوده عاصفة الحب وليس رياحها وهذا ما حدث معي

اصبحت متيماً بها يا يعقوب بكل شيء فيها بحركاتها وغرورها وطفوليتها وما تبديه من تصرفاتٍ عفوية تجعل اي انسانٍ سوي يعشقها ومع كل هذا الحب لم احدثها واخبرتك لماذا

وليومٍ من الايام كنت جالساً التقط بعض الصور مع اصدقائي

وبصدفةٍ دون قصد شاء القدر ان تمر من خلفنا عند التقاط الصورة شعرت بيني وبين نفسي حينها ان هذا الامر لم يعجبها مطلقاً ولكنها مضت ولم تتحدث ابداً

وبسرعة الريح ارسلت احد اصدقائي خلفها ليعتذر عن ما حدث

كنت اراقب كل شيء من بعيد وكانت ودودةً جداً مع صديقي

وبالوقت ذاته رايتها تنظر إلي وتبتسم

صدقاً يا يعقوب لا استطيع وصف شعوري آن ذاك كانت مشاعر مختلطة بين الخوف والفرح والحب كنت بغاية السعادة وقلبي اراد ان ينقلب على عقليتي ايضاً ويغير من معزوفته كان يدق بشكلٍ غريب حينها ولم استطيع التحكم ببريق عيوني امام الجموع فقررت الهروب بهم لمكانٍ بعيد

وبعد يومٍ طويل كان عنوانه الفرح والسعادة الغير معتادة

عدت للمنزل ليلاً

داهم لسانه الصمت ثم توجه للنافذة التي استوطنت على شفافيتها حبات المطر

- كانت تحب المطر يا يعقوب كانت دائماً تمطر حينما اجلس معها وكنت ارى الامل يتساقط مع حبات المطر من زيتون عيناها

اقسم لك يا يعقوب انني احببتها

- الحب لا توكيد ولا قسم ينفيه او يثبته يا طهران

عدت للمنزل وفور وصولي جلست خلف مكتبي امسكت الهاتف رأيت رسالة من رقم مجهول محتواها

‘ اعلم انه ما حدث لم يكن عن قصد او نية لا داعي للاعتذار او التبرير وبالمناسبة اظن ان الصورة جميلة لان الجو كان ملائم لالتقاط الصور‘

اجتاحتني حينها نوبة هيستيرية من الضحك فأرسلت لها وانا متلعثم من خلف الشاشة وكأنها امامي

- هل هي انت حقاً

ضحكت لردة فعلي وقالت نعم انا هي

فأرسلت إليها رسالة اكثر جديةً ووضوحاً

كان واجباً علي الاعتذار وتبرير الموقف لكن بصورةٍ او بأخرى لم افضل الاعتذار بشكلٍ مباشر فأرسلت صديقي إليك اما عن الصورة فلا يهم إن كانت قد اتخذت في الجمال مقاماً المهم هو ان الاشخاص الذين وجدوا فيها يستحقون ان يترك لهم في الذاكرة اثر وصورة

- ردٌ فلسفي من شخصٍ يتمتع بكبرياء فطرية اظن انك استطعت ترك طابعاً جميل عن شخصيتك

- اشكرك جداً على لطفك

بطريقةٍ ما انتهى الحوار بيننا واحتفظت برقمها الخاص لكن لم اراسلها ابداً

مضى على هذا الحديث مدةً طويلة ولم اكلمها ابداً انشغلت حينها بالامتحانات الفصلية وهي كذلك

عندما انتهينا من الامتحانات بدأ طيفها يراود افكاري حتى استحوذت بكل ما فيها من جمال وانوثة على مخيلتي ، بدأ الحب يستحوذ على عقلي وعقليتي اصبحت افكر بالتقرب منها بطريقةٍ او بأخرى حتى استطعت الوصول إلى صفحتها الشخصية على تطبيق الفيسبوك ودون تردد ارسلت إليها طلب اضافة

يوم يومين ثلاث لم يأتي منها اي رد بالقبول او الرفض

وبعد مرور ما يقارب الخمسة عشر يوماً ارسلت لي

أعتذر عن قبول الطلب لأسبابٍ شخصية واهمها عقلية مجتمعي وبيئتي التي لا تسمح لي بذلك لكن إن احتجت اي شيء ضمن الاطار العلمي كلمني انا على اتم الاستعداد لمساعدتك

لا اخفي عليك انني لمت نفسي حينها على تهوري وبكبرياء رجل لم يعتد الخضوع امام مثل هذه المواقف اعتذرت لها وبررت فعلتي هذه بحاجتي لبعض المعلومات الدراسية

توالت الايام بعدها واصبحنا نتواصل بشكلٍ ضعيف جداً

نتحدث عن النتائج الفصلية وعن المواد التي استطعنا تجاوزها والتي لم نستطع ومع مرور الوقت بدأت الاحاديث الجانبية تتكاثر بيننا حتى اصبحنا نتواصل بشكلٍ يومي تقريباً

كانت عند ظني بها فتاة اقل ما يقال عنها انها واعية جداً وتملك كم هائل من العلم والمعرفة كانت تعشق الشعر وكنت اهلاً له كانت تحب ام كلثوم وكنت من عشاقها ايضاً كانت تحب المطالعة وقراءة الروايات وكان قلمي آن ذاك يبدع في الادب الروائي

كنت حقاً كما تحب ولم يكن هذا عن نيةٍ سبقت مني لكن شاء القدر ان يجمعني مع من اجد ضالتي معها وهي كذلك كانت تخبرني دائماً بانها متعطشة لحديثٍ ثقافي وقد وجدت ضالتها في حديثي

كانت كثيرة الفضول وكنت اهلاً للغموض كان فضولها يثير خوفي دائماً بانها سترحل لمجرد اكتشافي فحينها ستشبع فضولها

كانت دائماً ما تخبرني بأنها ستجد سبيلاً لغموضي هذا وانها لن تتخلى عن صفتها الفضولية ابداً وكان هذا الامر يخيفني اكثر فاكثر

استمرت علاقتنا بين الغموض والفضول بين النقد والمدح بين الموسيقى والكتب بين امرؤ القيس ومحمود دروش بين عناصر الجدول الدوري الكيميائي وخواص النيتروجين حتى

لم نترك اي فراغٍ لم نملأه حينها عدا فراغ واحد وهو الحب ..

انتهت العطلة الفصلية وعدنا إلى الجامعة من جديد ومع عودتنا عادت النظرات بيننا لكن بشكل مختلف كانت نظرات يتبعها حديث طويل من خلف الشاشة الزجاجية ، كانت دائماً ما تخبرني بانها ستجعلني اقلع عن التدخين وكنت دائماً اخبرها بان تقلل من عفويتها المفرطة فهذا يجعلها عرضةً لنظرات الشباب

كانت دائماً ما تخبرني بان التزم ارتداء الاسود لأنه يليق بي

وكنت دائماً اخبرها كذلك لأنه كان حقاً يليق بها

كانت من اجمل الايام التي قد تمر على من لم يتذوق طعم الحب في حياته وعلى الرغم من كوني قارئاً لم يترك حالة نفسية يعيشها المرء لم يقرأها قرأت عن الحب ولم اعيشه ابداً

وبعد عدة اسابيع اخبرتني شيء لم يرضي خاطري لكنه وضعني في طريق اكثر جدية لعلاقتنا

‘ اسمعني جيداً يا طهران انت حقاً شخص رائع لكنني لم اعتد التواصل مع شاب لا ينتمي لمنزلي ابداً واظنك تؤمن بصحة هذه العقيدة لأنك حقاً شخص مؤمن ويخاف الله وتعلم جيداً وصية الله لكم معشر الذكور بان لا تواعدوهنّ سراً لذلك اريدك ان تخبرني انا وانت تحت اي مسمى نتكلم

صداقة؟؟ اخبرتك من قبل بانني لا اتقبل هذه الفكرة

أخوة ؟؟؟ لا اظن ذلك

ارجوا ان تتفهمني وتتقبل مني هذا الكلام

حينها اخبرتها بانني احبها جداً وعرضت عليها مشاعري كلها واخبرتها انني اريد القرب منها بشكلٍ رسمي يرضي خاطرها وتربيتها وخلقها

كان ردها بغاية الجمال والقبول والرضا لكنها كانت مصممة على فكرة باننا لن نتكلم حتى يأذن الله ويحدث ذلك بشكلٍ رسمي

شعرت بالخزي حينها لكنني كنت سعيد جداً لمدى حياؤها وخلقها

مضت ايام ونحن لا نتكلم أبداً وبدأت اتجنب النظر إليها كثيراً

حتى ارسلت إلي رسالة لتبدأ بعدها قصة حب لن يزول وجعها من داخلي ابداً

‘ ما بك يا طهران لماذا تعاملني بهذه الطريقة لماذا تتجنب النظر إلي لما كل هذا الجفاء وانا اعتذر إن كان الكلام قاسٍ وتأكد انه لم يكن سبيلي ازعاجك وتأكد انني لم ارفضك ابداً ولن ...

قرأت كلماتها هذه وابتسمت مطمئناً لمشاعرها اتجاهي

الحب يا يعقوب لا يحتاج لاعتراف يظهره الحب اقوى من كلمة محتواها اربعة حروف تنطق في اللسان ، الحب والمشاعر التي يخلقها لا يمكن اخفاؤها ابداً بريق العينين لا قناع يستره وكنت ارى هذ في عيونها

عدنا للحديث وكان حديثنا هذه المرة يملأه الحب، كنت قد وهبت قلمي لوصفها ودائماً ما كنت ارى كلماتي بانها لم تعطيها حقها من الجمال ، كان حياؤها يمنعها من الرد علي بذات الكلمات لكنها بطريقةٍ او بأخرى كانت تمنحني الحب يا يعقوب وانت غني عن شرح ذلك

كان اكثر ما يعجبها بانها اصبحت ليلى التي ولا زال تأثير قيس بكلماته لها حاضر بيننا كانت تحب طريقة وصفي لها وكان حبها دائماً يخبرني هل من مزيد ، اخبرتني مرة انها تريد وعداً مني ان استمر بأرسال لها هذه الكلمات لأنه مهما حدث ستبقى هذه الكلمات مأثورة في وجدانها

- وهل استمريت في الارسال لها

وكأنني لم اتكلم اكمل حديثه

اصبحت اكثر جرأة بالتعبير عن الحب من ذي قبل وكان هذا الامر يجعلني بغاية السعادة

ودون سابق انذار اخبرتها انني اريد الجلوس معها وقبلت ....

واثناء حديث طهران طرق باب الغرفة وكان الطارق العم مصطفى

- هيا يا طهران حان موعد صلاة الفجر

- تفضل ادخل يا عم

تفاجئ مصطفى من وجودي في مثل هذا الوقت في غرفة طهران فقال

- عساه خير ؟

- كنا نتبادل الحديث يا عم حتى سرقنا الوقت دون ان نشعر واظن ان الدكتور يعقوب قد اصابه صداع بسبب احاديثي

ابتسمت بوجهه واخبرتهم ان نتوجه للصلاة جماعة

توجهنا للطابق الارضي لنتفاجأ جميعاً بجلوس شهاب على سجادة الصلاة معتكفاً بذاته يدعوا ربه بسره

- الحمد لله على سلامتك يا شهاب

ابتسم في وجهي وقال

- سلمك الله هيا لنصلي جماعة

صلينا الفجر وتوجه كلٌّ منا لغرفته اخبرني طهران باننا سنكمل في وقت لاحق ولم امانع لأنني ايضاَ بحاجة للنوم قليلاً فهنالك يوم طويل بانتظارنا

بينما كان جالساً في الحديقة يراقب غروب الشمس متمنياً ان تغرب معها كل الاحداث التي جرت في الايام التي مضت

متأملاً بشروقٍ جديد يداهم حياتهم جميعاً

اشارت له ميّار من بعيد

- هيا يا يعقوب الطعام اصبح جاهز

ابتسم بوجهها وتوجه لهم

الامور بينهم عادت لمسراها الطبيعي وهذا امرٌ يبشر بالإكمال وخصوصاً انهم تقبلوا وجودهم هنا واتفقوا جميعاً على الاطاحة بطوكيو

نظر يعقوب لميّار وهي تمازح شهاب بسعادة لانعدام الشحنة السلبية بينهم

انتهوا من الطعام فنظر طهران ليعقوب موحياً له انه قد حان الوقت لإكمال ما بدأناه

وبدون سابق انذار نظر لميّار وقال

- حسناً يا ميّار قد حان دورك الان اليس كذلك

وبكبرياء انثى قالت

- انا لا انتظر الاوامر منك يا يعقوب اتكلم متى يحلو لي

بعد انتهائهم من تنظيف الطاولة جلسوا جميعاً يحتسون الشاي

وقفت ميّار وتوجهت للوحة طوكيو وقالت

اصعب ما في الامر انني اراه يزداد نفوذاً وسلطة

اين عدالة السماء من هذا

لماذا لمثله تفتح سبل التوفيق

لماذا لمثله يكون الحظ حليف

لماذا مكتوب علينا ان نكون الضحية دائماً ..

ونحن المقربون اكثر الملتزمون بقواعد الخالق التي وضعها لنا

ونحن الخاضعون دوماً لقضاء الله وقدره

ونحن الصابرين على كل شيء

ونحن من نرفض الاذى لاحد ونثأر للمظلوم رغم اننا بحاجة لمن يثأر لنا

ونحن من نقاتل مرارة الايام بدون سلاح ولا سلطة فتارةً نتوهم بالقضاء علينا وكثيراً ما تصفعنا لتخرج هذه الاوهام من افكارنا

نحن من نقبل بالقليل الحلال رغم الحرام الوفير الذي نستطيع الحصول عليه

إلى متى سنصمت اكثر ولماذا علينا الصمت

سأخبركم لماذا

لأننا الطبقة الكادحة المستضعفة من الجميع

لأننا لا نملك نفوذاً ولن نملك ابداً

لأننا الوجبة الشهية بالنسبة لهم

الوجبة التي لن تصارعهم ولن تقف مدافعةً عن حقوقها

لأننا نهوى الخضوع ..

انا لن اطيل حديثي لكن ببساطة

وجهت نظرها لشهاب وقالت

انا هي يا شهاب تلك الفتاة التي كان لك يدٌ في اذيتها

انا من أُتهمت زور واعلن قصاصها وهربت

انا من انتهت رحلتي على هذه الارض قبل بدايتها

وجهت نظرها لصفا وقالت

زوج امك هذا هو من حاول الاعتداء علي كما اراد ان يعتدي عليك ايضاً

هو من دمر مستقبلي العلمي والعاطفي والانساني

اما عن رغد فهي اصل البلاء الذي اقام في حياتي

كانت صديقتي المقربة التي ارادت تشويه عفتي كما فعلت هي

هي من ساعدت طوكيو على تشكيل شبكة دعارة ومخدرات في اطهر الاماكن فكراً وعلماً وعقلانية

اعلمت لماذا كان رد فعلي قاتل اتجاهك يا شهاب

لأنني كنت ولازلت اقتل في اليوم الف مرة وانا اتظاهر في اللا مبالاة

توجهت لغرفتها على الفور بينما عم الصمت على الجميع عدا شهاب الذي صار يبكي كالأطفال فذهب مخفياً وجهه بغرفته يغسل وحل الماضي بدموع توبة الحاضر

- اقسم بكل مقدسٍ اننا مجموعة مغفلين وانا على رأسكم

نطقت صفا كلماتها وتوجهت للشرفة

ابتسم طهران لرد فعلها وقال

- مساكين ، صحيحٌ ان الوانهم والسنتهم مختلفة عن بعضهم البعض لكنهم اجتمعوا على شيء اشد قرباً من ذلك

اجتمعوا على الالم والبؤس واختار القد لهم ان يمثلوا دور الضحية على ارض هذا الكوكب

وقف مصطفى وقال

وقد حان الوقت لتمثيل دور البطولة والاستحواذ على النصوص الرئيسية على ارض هذا الكوكب

- ما هو الهدف من قيامك بمثل هذه المغامرة يا عم بأواخر عمرك

- انا يا طهران اكره الحياة الروتينية ، صحيحٌ انني لم انعم بالهدوء طوال حياتي لكنني كنت انتظر هذه اللحظة منذ زمن

اللحظة التي اثبت فيها نفسي امام الجميع واضع حداً لوسواسي القهري بانني عجوزٌ لا فائدة منه ولا منفعة

اريد ان اترك اثر لنفسي في حياتي احدهم اريد ترك زائراً لقبري وداعياً لي بالرحمة اريد ترك اثري فأنا قد وصلت للمحطة الاخيرة وانا لا املك اثراً رغم انني على قيد الحيا فكيف واذا مت

فلن يبقى لي شيء وسأصبح بالمنفى

وقف مصطفى ثم قال

والان قد انتهينا من المرحلة الاولى وقد اصبح كلّاً منهم على معرفة بقضية الاخر وانا متأكد انهم ايقنوا بان عدوهم واحد وهدفهم واحد وهو الانتقام

مهمتنا الثانية هي ستكون الاخيرة ومنها إما سنكون جميعاً او لن نكون ، طهران بني انت مهمتك الان ان تستثمر منصبك الحساس بإحضار بيانات طوكيو بالأجمع

حركات صعوده وهبوطه وإلى اين وكل متى اين يقيم واين يتمركز بشكلٍ اساسي وماهي الطريقة التي يتبعها لغسل امواله في الوقت الحالي

ولأنني على يقين بان هذا الهجوم لن يمر بسلام اود اخباركم بان الورقة الرابحة بالنسبة لنا هي على اتم الجاهزية وهذه الورقة لن نرميها إلا عندما نشعر باننا وقعنا في مأزق لا خروج منه ابداً

- وما هي هذه الورقة يا عم

عندما يحين الوقت المناسب ستعرفها يا يعقوب

اما الان فقد فحان دورك لإبراز قدراتك بالتأثير على العامل النفسي لدى اصدقائك وتجهيزهم نفسياً للهجمة القاضية

إما عليهم او على عدوهم ، دعوهم منعزلين مع نفسهم لحين ترتيب اوراقنا بانتظام ومن ثم سنجتمع ونعرض عليهم خطتنا الاخيرة

ذهب مصطفى وترك يعقوب وطهران بصمتٍ تام

ثم وقف طهران ووضع يده على كتف يعقوب وقال

- انتظرك مساءً لا تتأخر ..

- اجلس يا دكتور سأذهب لأعد القهوة فلدينا وقتٌ طويل وكلامٌ لن يخفف مرارته إلا حبات القهوة تلك

ذهب طهران ليعد القهوة بينما جلس يعقوب يتأمل هذه الغرفة

رغم انها لا تختلف هندسياً عن باقي الغرف لكن هنالك شيءٌ تعشش في جدرانها ليلامس الارواح الزائرة

كان الغبار يتكلم عن مرارة الايام التي عاشها طهران

وخيطان العنكبوت تستنكر انها تأسست نتيجةً لما تركته تلك الفتاة في قلب طهران كان الجرح اعمق من ذلك بكثير

- هل اعجبتك الغرفة

- جميلة كونها تنقل الطابع الاصلي لروحك وكونك الداخلي

-نعم اظن كذلك

وبعد الرشفة الاولى من القهوة اشعل سيجارته وقال

- اتعلم يا يعقوب قد كان اللقاء الاول هو الاجمل والاصدق على الاطلاق كان على عكس كل المواعيد الغرامية

حماقتي جعلتني اتأخر على الموعد وجعلتها هي من تنتظرني لا العكس

كانت تكره الانتظار واكثر ما يزعجها على ارض هذا الكوكب هو الانتظار

اقسم لك يومها استعجلتني لدرجة انها لم تغلق الهاتف لحين رأتني قادم إليها من بعيد وكنت في غاية السعادة حينها

كنت اراها من بعيد وكانت كأنها ملاكٌ استوطن على الارض

هي كانت ولا زالت في غاية الجمال وستبقى لان الجمال منزوعٌ من طيفها ويستحيل ان تقارن بمن اخذ من طيفها القليل من الجمال

عندما وصلت إليها وتلاقت اعيننا اقسم لك حينها بانني شعرت ان الزمن قد اعلن وقفته وان العصافير لم تعد قادرة على التغريد والشجر ايضاً حينها توقف عن الحفيف والتزم الهدوء احتراماً لتلك اللحظة

كان داخلي ينتفض على ما داخلي وقلبي ينبض بشكلٍ رهيب وعقلي اعلن انقلابه على كل قوانين الكبرياء كنت ارتجف خوفاً حباً حياءً لا ادري كنت متعباً ثائراً جائعاً ظمآن

كنت حياً ميتاً جريحاً او مصاباً بداء الحب لا ادري

نظرت إليها بتلهفٍ وحب وكان حيائي يسقط عيني في كل مرة اختلس النظر لعيونها

لكنها كانت اشد جمالاً او انني كنت اراها كذلك

زيتون عيناها لا شعرٌ يوفيه حقه من الجمال ولا فلسفة استطاعت فك الشيفرة الخاصة بهم وكأنهم حملوا زيتون فلسطين بقدسية القدس داخلهم

بياضها لا كدرٌ فيه ولا ريحٌ عابرة تشوهه

تملك قواماً رفيعاً اشد من الملوك هيبةً واكبر مقاماً

وبقصر ذلك القوام حسمت القضية بان العرش للقصيرات

والصوت يملك سيمفونيةً لا نوطة تحويها ولا آلةً قادرة على اعطائك كم الدفء التي احتوته تلك البحة السحرية

صدقاً يا يعقوب مهما تغنيت شعراً بوصفها لن اوفيها حقها من الجمال ، وبالرغم من كل ما حدث لا زلت اراها بانها الاجمل على الاطلاق

جلسنا حينها وعاتبتني بطفولية على الوقت الذي جلست تنتظرني به

مضت الايام بنا وكانت الوردية قد استوطنت فوق منازلنا

بدأت اعمل بجد قاصداً الحصول عليها بأسرع وقت وكان وجودها لجانبي يزيدني اصراراً

تزداد يوماً بعد يوم الذكريات والبسمات والليالي التي تعاهدنا ان ننام على حروف بعضنا البعض بها

مرةً بتفسير مشاعر ام كلثوم ومرةً بتناقض فكري يجعل علاقتنا اكثر متانةً وقوة

ولكن كما تعلم وكما اخبرتك لا راحة للإنسان إلا بلقاء ربه

ولم تكتمل قصتنا ويا ليتها توقفت هنا ولم تختار النهاية التي اختارتها لنا

داهم لسانه الصمت قليلاً وعلمت حينها ان المعركة قد بدأت أن الرماد بدأ يتسلل كلصٍ مكسيكي لحياته التي بدأ يفرض عليها الالوان الوردية ، علمت وتأكدت انه قد وصل للنصف المؤلم للنصف الذي وضع أثره على روحه ثم بدأ الاثر يتفاقم حتى اصبح فجوة كبيرة يملأها الحزن والاكتئاب وعيناه تلك التي لم تسلم من الفجوة ايضاً فكنت كلما اراه يتحدث بقوة وشخصية امنية لا تردع تراني انظر ايضاً إلى ما يخفيه عن الناظرين ، انظر لضعفه وكسرته التي اخفاها بقوته وجبروته ..

ابتسم دون سبب واشعل الموسيقى الصوفية ليداعب الناي ارواحنا نحن الاثنين واردف قائلاً

ودون سابق انذار وكما بدأت علاقتنا دون سابق انذار حدث كذلك ايضاً وانتهت

- وكيف

- اتعلم يا يعقوب ، اجمل ما سمعته عن لسان محمود درويش هو اننا نريد من الحب البدايات

كم تمنيت ان يتوقف الزمن عند البدايات

لا اعلم ماذا حدث لكن وفجأة ودون سابق انذار بدأت تختفي شيء فشيء ، امرٌ في غاية الصعوبة يا يعقوب ان يتحول ملجأك إلى اكثر الاماكن خطراً بالنسبة لك

امرٌ محزن ان تنفر الام من طفلها بعد تسعة شهور قضاها داخل رحمها

امرٌ محزن ان يتبرأ الولد من ابيه بعدما اشتد عوده ونضج

امرٌ محزن ان يهدم منزلك امامك وانت غير قادر على الدفاع عنه

كنت حقاً كذلك ، كان يهدم امامي كل شيء وانا ليس بيدي حيلة

بدأت تتصرف بمزاجية فساعةً تراها خاضعةً لعرشي وساعةً تراها ملحدةً بكل احلامي وعقائدي

وبسبب الفراغ الذي عانيت منه مسبقاً حاولت التشبث بها رغماً عنها

اقسم لك انني كنت ارى النور من عينيها لا اعلم كيف استبدل النور بظلامٍ لا يرحم لا اعلم من انتزع قلبها ووضع مكانه حجر صوان

ورغم كل ذلك لم استسلم بدأت اراوغ مشاعرها شيء فشيء واقول انها تعاني من اضطرابات واخلق لها التبريرات والاقاويل

وبالفعل كما اخبرتك كانت عندما تراني اصل للمرحلة التي سأنفجر عليها تعود كما كانتا لا وبل اكثر من ذي قبل

وفي احدى ليالي ديسمبر القاسية اشتد بي المرض لدرجة انني لم اقوى على النهوض من فراشي

يوم يومان ثلاث لا هي في الوجود ولا انا

كنت غائباً في عالم المحنة والمرض وكانت غائبة في عالم الحقد والنفاق

امسكت هاتفي لم ارى اي شيء منها طيلة تلك الايام

كلمتها عاتبتها اخبرتها بانني في حالةٍ يرثى لها ولم اجدها جانبي طيلة هذه الفترة وانا كنت على العكس تماماً حاضراً في كل مازق تكون فيه

كان ردها بغاية البرود مما جعلني اشتعل غضباً واقرر انهاء كل شيء

غضب الرجال يا يعقوب لا انثى تردعه ولا عاطفة

حينها ايقنت انني احببتها لكنني ذو طبعٍ نرجسي واحب نفسي اكثر من اي شيء خلق على هذه الارض

انتهى الحديث بيننا آن ذاك بين الاعتذار والقبول

حاولت تبرير غيابها قدر المستطاع وحاولت اظهار تقبلي لتبريراتها تلك على الرغم من انها لم تكن مقنعة

اسبوع اخر من الصراع مع المرض واسبوع اخر من غيابها الذي لم يعد يعنيني كذي قبل

ان تتأقلم على انطفاء مشاعرك وسعادتك بعدما كانت تنير السماء

هو امر اشبه بتأقلم المحكوم اعداماً على الحكم الصادر بحقه

اشبه بانعدام بصر احدهم واختفاء النور الذي رافقه منذ ولادته

اشبه بتأقلم حماة الوطن على خيانة احدهم لهم

في اليوم الاول بعد الاسبوع خرجت وتوجهت للجامعة بحثاً عن الهواء النظيف ظنناً مني بانه سيزيل عني كل ضيقٍ ومرض

ولكن ما حدث هو انني قابلت عاصفة لازال اثرها إلى يومنا هذا محفورٌ بداخلي وكل ما تذكرتها ينزف الماً وحباً وكرهاً ومشاعر لا يعلم ما هي إلا الخالق

عندما كنت جالساً انتظر رؤية طيفها او اي اثرٍ منها وكنت ادعوا الله في سري بذلك

فاستجاب الله دعائي ورأيتها ويا ليتني لم أرها

كانت تضحك لكن ليس معي

وتمسك يداً ليست بيدي وترفرف كفراشةٍ ولكن رحيقها لم يكن لبستاني كانت عيونها تلمع كعادتها لكن هذه اللمعة اعتادت اظهارها لي انا ، وحدي من كان يراها

كانت تبتسم ولكن هذه المرة ابتسامتها كانت تطعن قلبي لا تداويه

تزيد ليلي ظلاماً لا تنيره كانت حينها مرسال بؤس لا فرح

من هذا الذي تمسك يده من هذا الذي تقاسمه حروفها من هذا الذي يجلي عيونه بحركاتها الطفولية من هذا الذي ازهر قلبه بانغام صوتها

اقسم لك انني كنت اتهم عيوني بالكذب حينها اقسم لك يا يعقوب انني برأتها ووجهت الجرم لمرضي الذي اوحى لي بانها هي

حتى رايتها اقتربت مني اكثر فاكثر وتبين لي انها هي

بجمالها وعيونها ومشيتها وصوتها

توقفت حينها في مكاني ولم ابدي اي رد فعلٍ اتجاهها فكنت حقاً لا اريد ان اظلمها وان تكون شكوكي ليست في مكانها ابداً

لا اريد ان تراني ضعيف الثقة نحوها

وعلى الرغم من الظلام الذي داهم المكان في وسط النهار

انتظرتها لتكلمني وتخبرني باني شكوكي كذب وانني اسأت الظن بها

لا اعلم إن كان الظلام قد انتشر حقاً ام انه استوطن عيوني

لا اعلم إن كانت جاذبية الارض قد ازدادت ام ان قدماي لم تعد قادرة على حملي

لا اعلم إن كانت قوانين الكون قد شذت عن مسراها ام انني انا من فقدت مسراي

وبعد الكثير من التفكير بين التبرير والاتهام

ارسلت لي

’ مرحباً ..

اتمنى ان لا تسيء الظن بي فهذا الشخص قريبي وسأوضح لك كل شيء فيما بعد إلى اللقاء’

لا اخفي عليك ان هذه الكلمات لم تكن كافية لإطفاء ما بداخلي ولكنها زرعت شيء من الطمأنينة في قلبي

وبعد مدةٍ كانت الاطول على الاطلاق رغم قصرها الزمني

ارسلت إلي رسالة محتواها

مرحباً طهران اود ان اخبرك بان هذا الشخص الذي رأيته معي سيصبح زوجي عما قريب

اعتذر منك و "حقك عليا" لكن ما حدث كان من اختيار والدي وانا اثق باختياره اكثر من نفسي انت لم تكذب وكنت على اتم الاستعداد للتقدم لي ولكن قد حدث ما حدث

عندما قرأت كلماتها تلك اقسم لك بانه قد اصابتني نوبة ضحك هيستيرية ولا اعلم لماذا

كانت لكنتها ابليسية بما يكفي ليتبين لك بانها تكذب وان الامر وإن كان مثلما قالت كان بإرادتها وباختيارها حتى

لا اذكر ماذا تكلمت حينها لكنني كنت مصرّاً على نفسي بان لا اتفوه بكلامٍ لا يليق بي فكما تعلم " النهايات اخلاق"

وكلٌّ منا اختار الطرية التي تليق به

وفي نفس الليلة عادت وكلمتني وكانت وكأنها تريد محو ما حدث من ذاكرتي والعودة لذي القدم

اقسم لك يا يعقوب انني ايقنت حينها ان الخير فيما اختاره الله وانه هو الاقرب حقاً من حبل الوريد وان الله يريد بنا اليسر ولا يريد العسر وانني اريد والله يفعل ما يشاء وما يريد

حينها لم اعد اشعر بتلك اللهفة التي كانت تراودني حينما تكلمني

كنت اشعر بالخزي انني اضعت وقتي معها

اظن ان الله جعلها في عيني كذلك لا توقف عن المحاولة لأجلها لأنها حقاً لا تستحق محاولاتي

اخبرتك ان لكنتها تحولت وحروفها كانت مغمسة بشيء من الخيانة اقسم لك انها كانت تظهر هذا بوضوح ولا تخفيه مطلقاً

كانت تحاول التودد لي بقولها بان كل شيء سيكون على ما يرام وبان الامور ستعود لمسراها وان الكرة لا زالت في ملعبي للتقدم إليها

ولا اخفيك رغم حبي لها الذي لم ولن يموت ايقنت حينها

ان الملاك قد اصبح شيطاناً وان البراءة قد تحولت لخبث والضعف تحول إلى شر

وقد ازيح ستار الجمال عن وحل وجهها وظهرت كما هي او كما اختارت ان تكون

وحينها وبعدما ايقنت ذلك لا اخفيك انني قد اشبعت غريزتي النرجسية برفض العودة رغم انني كنت ولا زلت الطرف الاصدق وان ثوب الخيانة قد ناسب قوامها جداً

ذهبت وذهب معها كل شيء او اخذت معها كل شيء

ولا زلت حتى الان اعيش معها وبدونها

- ألا زلت تحبها كذي قبل

- لا اخفي عليك يا يعقوب

فبالرغم من الوضوح الكامل لرحيلها لا زال هنالك شيء يمنعني من تجاوزها ، هنالك اثر من زيتون عيناها لا يزال عالقً في قلبي لا زال ضيفٌ ثقيلٌ يأبى المغادرة لازلت استمع لموسيقاها المفضلة ..

فبالرغم من اختيارها المفاجئ للرحيل بأقسى الطرق التي عرفتها اهل الارض.. لا زال ودي يبحث عن مبرراً لما فعلت

- وكيف اوداك المطاف إلى هنا

- انتهيت من دراستي في كلية الحقوق بعدما قررت ان ابتعد عن كل شيء يجعلني قريباً منها وتوجهت لكلية الحقوق وبعد تخرجي على الفور تطوعت في كلية الشرطة بحثاً عن قناعاً يليق بمكر ابناء هذه الارض قناعاً لا يقل صلابتاً عن الحجر ولا يقل غضباً عن البراكين

لحق اخي الاصغر بي وتطوع ايضاً وكانت هنا الضربة القاضية لذاتي

في كمينٍ محكم فقدت اخي واما عن هذه القضية فلا اريد التكلم ابداً واطلب منك الا تسألني لكنني استطيع القول بانني فقدت نصفي حينها فقدت اكثر شيء كنت اشعر بالأمان اتجاهه

فقدت ملجأي وبيت اسراري فقدت مسندي وظهري الامن

فقدت كل ما هو جميل بعده

فقدت الشخص الوحيد الذي كان يعطيني املاً بالحياة

على الرغم من انه اخي الاصغر لكنه كان يملك حنكةً ثقافية تستطيع الوصول لأعماق جروحك

كان الامر بالنسبة لي نهاية لكل شيء كان العالم حينها موحشاً للغاية بدونه

كسر ظهري في غيابه وافتقدت الامان كونه مصدر للأمان

عشت حالةً نفسية يرثى لها ولكنني ايقنت ان الانطواء لن ينتقم لأخي من العدو الازلي لي ولأصدقائك

من اقذر الاشخاص التي استثمرت منصبها النبيل في مطامعها الشخصية من ذلك الذي شوه صورة الكثيرين بسبب افعاله النتنة

من طوكيو ...

نظر يعقوب لطهران بصدمة وقال

- هو ايضاً من تسبب بذلك

- نعم ومن غيره ارجوك يا يعقوب لا اريد التحدث بهذا مطلقاً

لكن تأكد ان امثال طوكيو قلة وامثالي هم الغالبون

وثأر اخي وتحقيق العدالة والنزاهة لهذا الوطن هو سبيلي الازلي

وقف وذهب لمكتبه وجلس يكتب شيء ما ، توجه نحو يعقوب واعطاه الورقة وقال

- يمكنك الاحتفاظ بها او تمزيقها ويمكنك ان تقرأها الان في فراشك تصبح على خير

توجه يعقوب لغرفته القى نفسه على الفراش ثم اشعل سيجارته وبدأ بقراءة الورقة

" إلى المهاجرين في الشوارع

الهاربين

من احلامهم التي لم تتحقق

من الخذلان الذي داهم حياتهم ومزقهم إرباً

من الذاكرة وجلد الذات بعد منتصف الليل ...

إلى المحاطين بالبؤس اينما اقاموا

إلى من خانتهم اختياراتهم وكانت الضريبة والعقاب اشد قسوة من التجاوز

إلى من لم تحالفهم الحياة بعد

من قلبي سلام....

طهران "

اغلق الورقة ونام مباشرةً من فرط التعب

وكالعادة هنالك يوماً طويل بانتظاره

الجحيم..

لا فرق بين البطل والخائن

فهم الاثنين قد ولدوا مجردين من السبل

والاوصاف

لكن الحياة انصفتهم على ان يكونوا كذلك

وختاماً

على هذه الارض ما "لا" يستحق الحياة

اصوات الرصاص في كل مكان واصواتٌ يعلم هي لمن

هذا صوت صفا وميّار

توجه نحو الباب مسرعاً وما إن فتح الباب حتى استقبلته قبضةً

غاب على اثرها عن الوعي فقد حواسه وارتمى على الارض

وقبل ان يغمض عيناه رأى مصطفى مسحوباً من يديه وغاب بعدها عن الوجود ...

فتح عيناه ليرى نفسه مقيد على كرسي في غرفةٍ مظلمة

وتحتوي ضوء برتقالي في منتصف الغرفة وصوت صنبور مياه معطل يقطر بقطرات المياه لتزيد من توتره وخوفه

- اين انا لماذا اتيتم بي الى هنا من انتم اين اصدقائي

كان يكلم رجلان التزما باب الغرفة وبعد ثواني معدودة اقتحم الغرفة رجلٌ وامرهم في الخروج

- من انت وماذا تريد مني ولماذا جلبتني إلى هنا

- انتظر ستعلم كل شيء لكن التزم الصمت الان

- وهل كنت تظن ان الاطاحة بي امرٌ بهذه السهولة

- طوكيو

نظر يعقوب إليه بصدمةٍ كبيرة هل قد حان دوره ليشارك اصدقائه ذات المأساة

- نعم بداية الامر اريد ان اعرف كيف استطعت جمع اربعة اشخاصٍ

قد تركت بصمتي في حياتهم

- كان هذا من ترتيب القدر ولا اخفي عليك سبباً نعم نحن اجتمعنا على الاطاحة فيك لكن

وقبل ان يكمل يعقوب كلامه قال طوكيو

- لكنكم ايها المغفلين لم تعلموا ان الخيانة هي طبعٌ بشري لا يمكن انكاره وان زرع جواسيس لي في كل مكان امراً بغاية السهولة وخصوصاً في المراكز الامنية

- طهران ؟؟

- لا هذا الغبي سينال عقابه وسيعود لحضن والدته فـ الوطن ليس بحاجةٍ للشرفاء امثاله

لكن عناصره كانت اضعف من ان تخفي امراً كهذا

شعر حينها يعقوب بالخزي مما سمع ثم قال

- ماذا تريد من سكان ارضنا يا طوكيو

- اسمع يا يعقوب انا وبفخر اعترف انني دراكولا هذه الارض

وامثالنا لا يهزمون ابداً وما اريده هو الرفعة اكثر

- امثالك نهايتهم كأفعالهم وتأكد بان طهران البلد لن يتركونك ابداً

تأكد ان هذه الارض هي نواة الخير لهذا الكوكب وامثالك القلة

ماذا تريد يا طوكيو اخبرني ما هو هدفك من تلك الجبروت التي تفرضها على العامة

لماذا تعمل دائماً على ظلم اكبر عددٍ من الناس

- الناس!! وهل تعتبرون انفسكم ناس او بشر

انتم عبيد الكوكب ونحن البشر

- وانتم عبيد الاخرة ونحن البشر

ابتسم طوكيو واشعل سيجاره وقال

- هل تعلم ان امثالك واصدقائك عبءٌ في طريقنا

لان امثالك يفكرون ونحن نريد على هذه الارض روّاد الجهل فقط

امثالك اقوياء ونحن يروقنا لحم الضعفاء

امثالك يمشون في الطريق الذي قد بنينا نحن واسلافنا جدارٍ كبير امامه لكيلا يسلكه احدٌ مطلقاً

-اريد معرفة شيء واحد كيف استطعت الوصول الى المكانة العلمية التي انت عليها الان

- هذا ليس من شانك المهم انني قد وصلت

المهم انني سلكت اهدافٍ تصنع منكم فقراء مساكين

المهم انني نجحت بأضعاف روابطكم وبقتل الوحدة بين انفسكم

ولم افعل هذا لوحدي بل كان بمساعدتكم

انتم من التزم الصمت في حضرة ظلمنا

انتم لم تلجأوا لأمثال طهران منذ البداية

انتم استعنتم بالدعاء علينا وحسب ونسيتم انه هنالك من ينتظر كلمةً منكم للقضاء علينا

لجأتم إلى الله بالدعاء ونسيتم انه هنالك بيتٌ لما يسمى بالعدل مكلفٌ بحماية حقوقكم التي اصبحت منتهكة من قبلنا

تأكد يا يعقوب انني هنا بفضل خوفكم من إظهار الحق

اقترب من يعقوب اكثر وقال

حضر نفسك انت واصدقائك تنتظركم محاكمة في الايام القادمة

فالتخطيط لاغتيال شخصيةٍ مثلي لها وزنها في البلد ليس بالأمر السهل ابداً ولن تمر محاكمتكم بسلام

ذهب طوكيو وترك يعقوب في الغرفة وحده وترك صوت صنبور المياه ونيساً لوحدته

وبعد مدةٍ قصيرة دخل رجلٌ يحمل هاتفاً قال ليعقوب

- هنالك بعض الرسائل لك من اصدقائك في الغرف المجاورة ارجوك اسمعها بسرعة قبل ان ينكشف امري

اعطاه الهاتف وخرج

طهران ..

اخبرتك مسبقاً بان الخيانة لا تطاق وتأكد ان هذه المرة هي اشد المأ

دائماً وابداً السلام لمن لم تحالفهم الحياة بعد

صفا...

اخبرتك باننا مغفلين وكنت على يقين بأن الحياة لم ولن تبتسم لي

لكنني سعيدة جداً لأنني افرغت ما بداخلي

ربما الموت وانا فارغة سيكون افضل بكثير

ميّار ...

هل انت سعيدٌ الان ايها الفيلسوف الاحمق ؟؟

انا امزح

اود ان اشكرك جداً يا يعقوب لأنني اعلم بأنك فعلت كل شيء في سبيل ارضائي

ولكن كان للقدر رأيٌ خاص في هذا الامر أو اننا خلقنا لنتذوق مرَّ هذا الكوكب وحسب

لا يهمني انني سأموت لنني سعيدةٌ جداً لتصديق احدهم براءتي وهذا ما كنت اريده

إلى اللقاء في مكانٍ اكثر طمأنينة من الارض

مصطفى ...

انت اكثر شخصٍ يعلم سبب اهتمامي بهذه القضية يعلم انني اردت ترك اثرٍ في انفسكم لي

وقد فعلت ولكن ليس بالصورة الكاملة التي اردتها ..

انت اكثر شخص شعرت بالأمان معه رغم انك تصغرني سناً ولكنك كنت بمثابة ولدي

لا تيأس يا يعقوب هناك خالقٌ يسمعنا وهو الله وهنالك اوراق را...

اقتحم الرجل الغرفة واخذ الهاتف من يعقوب قبل ان يكمل سماع صوت مصطفى العجوز وقبل ان يمضي قال له يعقوب

- هل لي بورقة وقلم إن تفضلت

- حسناً انتظر قليلاً

ذهب لجلب ورقة وقلم وبعد مرور عشرة دقائق اتى له حاملاً دفتر وقلم

-تفضل وقد بلغك السلام سيد طوكيو ويطلب منك ان تجمل خطك لتسهل عليه قراءتها

- حسناً

امسك القلم وباشر في الكتابة

والان ها قد وصل البؤس لملعبي ولا مفر منه

اود ان اعتذر من احلامي وطموحاتي التي حاولت سعياً الوصول لها

اود ان اعتذر من نفسي على ما الحقته بها

اود ان اعتذر من شهاب صديقي الابدي لأنني كنت دائماً ما اشك بتوبته

اود ان اعتذر من مصطفى ذلك العجوز الذي رهن ما تبقى من حياته لتحقيق العدالة على هذه الارض

اود ان اعتذر من صفا تلك الفتاة التي لطالما كانت اماً لي ولكنني لم اكن ابناً مطيع عندما قالت لي اعتن بنفسك

تلك الفتاة التي سحق القدر احلامه وقرر ان يحاربها منذ نعومة اظافرها وعندما وجدها تصارعه بقوة قضى عليها

اود ان اعتذر من طهران ذلك الرجل الذي لطالما كنت مؤمناً بان العدل سيتحقق في البلاد بسبب امثاله وانا الان على يقين بان العدل سيتحقق لا محال

اود ان اعتذر منه لدم اخيه الذي قرر ان يدافع عن الوطن ويحميه من امثال طوكيو الخونة

اود ان اعتذر له لما تلقاه من خيانة ولما تذوقه من الم

اود ان اعتذر من قارِئي اوراقي لأنني قد حملتهم الكثير من البؤس والهموم والافكار والمبادئ التي قد توصلهم بيومٍ من الايام لما انا عليه الان

اود ان اعتذر من ابي لأنني لم اكن الابن الذي يخضع لحكم زوجة ابيه

اود ان اعتذر من كنت سبباً في تعكير مزاجهم

وختاماً اود ان اعتذر من محبوبتي الازلية

اود ان اعتذر من ميّار تلك الفتاة التي سحرتني وانستني عوائق الحياة

اود ان اعتذر لعدم اعترافي بحبي لها

واتمنى ان تقرا هذه الاوراق بنفسها لتعلم كم الحب الذي سكن قلبي

اود ان اعتذر لكذبي وتهربي من ذاك الاعتراف

اود الاعتذار عن ضعفي

والان اتمنى لكم حياةً اجمل من تلك التي عشناها

على كوكبٍ اطهر وانقى من الذي سكناه كوكباً لا يحمل على ظهره اشخاصاً بهذه القذارة

على كوكبٍ لا يؤمن بالعولمة بكل اشكالها ومقاييسها

على كوكبٍ لا يؤمن بالقوي والضعيف يؤمن بوجود الانسان فقط ولا شيء اكثر

على كوكبٍ يؤمن ب لله ايماناً صادقاً

اتمنى ان يتحقق العدل في هذه الارض بأقرب وقت وان تعم بلادنا بالسلام والطمأنينة وان يبرز الحق نيرانه امام الباطل

اتمنى لكم حياةً خالية من طوكيو بكل اشكاله

وختاماً السلام

وضع القلم من يده وبدأ في البكاء

استلقى مسلماً جسده للأرض ومسلماً عقله لـ لا شيء

رتل آيات من القرآن ليريح بها نفس ونام ...

لي حكمة المحكوم في الاعدام ... لا اشياء املكها لتملكني

كتبت وصيتي بدمي ...ثقوا بالماء يا سكان اغنيتي

ونمت مضرجاً ومتوجاً بغدي

حلمت بان قلب الارض اكبر من خريطتها

واوضح من مراياها ومشنقتي

وهمت بغيمةٍ بيضاء تأخذني إلى اعلى كأني هدهدٌ والريح اجنحتي

وعند الفجر ايقظني نداء الحارس الليلي من حلمي ومن لغتي

ستحيى مرةً اخرى فعدل بوصيتك الاخيرة قد تأجل موعد الاعدام ثانيةً

سالت .. إلى متي

قال انتظر لتموت اكثر

قلت . لا اشياء املكها لتملكني كتبت وصيتي بدمي

ثقوا بالماء يا سكان اغنيتي .....

من خلف القضبان الحديدية كان ينتظر الخمسة لحظة القاء الحكم دون خوفٍ او قلق مما سينطقه القاضي

القاضي

- جلسة النطق بالحكم

حكمة المحكمة حضورياً على المتهمين

طهران ***

ميّار ****

صفا ***

مصطفى ***

يعقوب ****

بالسجن لمدة ....

ودون سابق انذار اقتحم المحكمة ثلاثة اشخاص يطالبون التأجيل في القاء الحكم حتى النظر في القضية مرةً اخرى

- سيدي القاضي ادعى الطبيب ايهم واعمل في احدى المصحات النفسية التي اودعت بها زوجت المدعي طوكيو ووالدة المدعو عليها صفا

وهذه رغد احد المشاركين في جرائم المدعي طوكيو واحدى ضحاياه ايضاً فهي تملك طفلاً غير شرعي من طوكيو وهذه الاوراق تثبت ذلك

نظر مصطفى إلى يعقوب مبتسماً وقال

- الم اقل لك باننا نملك ورقةً رابحة وسنستخدمها عندما نقع في مأزق لا مخرج منه

تمت....

حاولت ان انقل لكم الكثير من العوائق التي نواجِهُها في حياتنا اليومية لكنني لم انقل لكم سوى ما شهدته

حاولت ان انقل لكم الكثير من الاضطرابات النفسية التي تمر بها ارواحنا

حاولت ان انقل لكم مدى تأثير خيبات الامل في المرء

وسبب التزام الكثيرين في الصمت

حاولت التبرير عن افعال العاشقين الكاتمين

وعن افعال النادمين

وعن افعال الغير مكترثين لا فعالهم

حاولت إظهار كم الخيبة التي تصيب قلب من تعرض للخيانة بكل اشكالها

حاولت نقل ما يعيشه الشباب السوري من أزمات وما يملكونه من طاقة على تحسين الوضع المعيشي وقلب الموازين واعادة هيكلة البنية الاقتصادية والجغرافية لأرض الوطن

حاولت توضيح ما يفكر فيه الشباب السوري وما يعيشه من أزماتٍ نفسية متعددة الاشكال

حاولت إظهار الارادة التي قذفها الله في قلوبهم والاصرار على الوصول

الان وبعدما انتهت رحلتنا اتمنى ان اكون نجحت في محاولتي

نحن كما نرى نواجه الكثير من المشاكل ويجدر بنا اظهارها كم يجدر بنا الحديث عنها

سعة الجهل التي اجتازت الكوكب اكبر منه حتى

العلم لا مقبرة له لنزوره ونرتل على روحه القليل من الآيات

المحبة قد انقرضت والثقة قد انعدمت

الروابط بيننا قد تلفت ولا شيء يجمعنا

الكوكب الصغير سيطر على ادمغتنا رغم صغره

الكوكب التكنلوجي قد داهم منزلنا بطريقةٍ غير شرعية

ونحن من اتحنا له الدخول بهذه الطريقة

فهنالك الكثير من الطرق التي قد تحوله من عدو إلى حليف قوي

يجدر بنا ان نمارس التحرر من منظوره الحضاري الفيزيولوجي

وليس من منظورٍ قد دسوه لنا بكؤوس الشراب لنحتسيه كل ليلة مع افراد عائلتنا

علينا ان نعود إلى الماضي بمجدنا وان نتقدم للمستقبل بفكرنا القديم

الذي قد ورثناه عن سلفنا الطاهر

علينا صنع اجيالٍ تعيد لنا مجد غرناطة وقوتها

وها قد قلت ما قلت

واتمنى ان اكون قد وضعت بعض الاحرف التي قد يستخلص منها البعض الفائدة للبشرية

فهذا ما وهبني اياه الله وحاشا لله ان ابخل بما وهبني اياه

دمتم بخير والسلام....

الشكر

اود ان اشكر كل شخصٍ قدم لي معلومةً انا اجهلها

اود شكر بائع السجائر الذي قال لي ليومٍ من الايام انني سألعنه وها انا الان اشكره على تلك العلبة التي باعني اياها في منتصف ليالي ديسمبر الباردة